دار الغد العربى

سلسلة « كتاب الغد » ٢

د . جمال حمدان

صفحات من أوراقه الخاصة

مذكرات فى الجغرافيا السياسية

تنشر لأول مرة

إعداد وتقديم

د . عبد الحميد صالح حمدان

الطبعة الأولى

١٩٩٦م

الناشر

دار الغد العربى

٣ ش . دانش . العباسية

ت : ٢٨٥٦١٢٢ - ٢٩٧٣٨٧٠ - القاهرة





سلسلة غير دورية تهتم بالقضايا
الاجتماعية والثقافيـة والسياسية
التى تهم القارئ العـــربى ..

المشرف العام على السلسلة

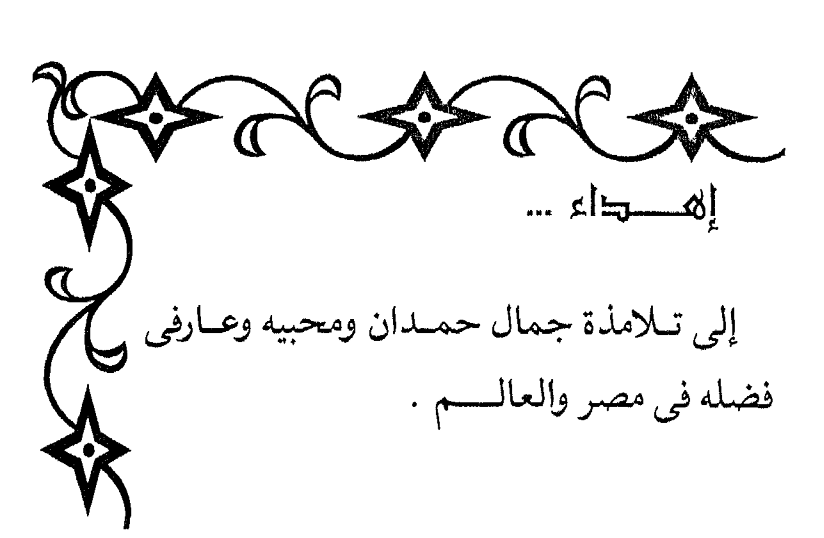
حمـــدان جعفـــر



د . جمال حمدان

مذكرات فى الجغرافيا السياسية ..

تنشر لأول مرة



إهــــداء ...

إلى تـلامذة جمال حمـدان ومحبيه وعـارفى فضله فى مصر والعالـــم .

مذكرات فى الجغرافيا السياسية ..

تقديم : ...

بعد أن انتهى جمال حمدان عام ١٩٨٩ من ملحمته العلمية الكبرى «شخصية مصر ـ دراسة فى عبقرية المكان» التى صدرت فى أربعة أجزاء على مدى عشر سنوات كاملة ووصل مجموع عدد صفحاتها إلى نحو أربعة آلاف صفحة من القطع الكبير، فإنه لم يكف عن الكتابة والبحث كعادته، وكان ـ فى سبيل ذلك يدون ما يعن له من أفكار وآراء أولا بأول ويوما بيوم دون تسلسل زمانى أو مكانى، وإنما تسجيلا لما يدور فى ذهنه من خواطر وتفاعلات تدخل فى صميم اهتماماته ببلده وبالعالم العربى والإسلامى. [انظر اللوحتين ١ ـ ٢].

وقد كان الهدف من هذه «المسودَّات» العلمية هو وضع اللبنات الأولى لكتابه الذى كان ينوى إخراجه عن جغرافية الإسلام. وقد حدثنى أخى جمال فى هذا الصدد وقبل وفاته وأخبرنى بأنه قد انتهى من آخر مؤلفاته، وبإنه قد اختار له عنوان «العالم الإسلامى فى الاستراتيجية العالمية» [انظر اللوحة ٣]، وبأنه سيدفع به إلى المطبعة قريبا .

وقد كتب جمـال حمدان هـذه المسودات فى الفترة الـواقعة مـا بين عام ١٩٩٠ و ١٩٩٣ ، وهى فترة من الفترات العصيبة التى مـر بها العالم العربى والإسلامى ، والتى شهدت بداية تفككه وتشرذمه .

وقـد أعادت هـذه المسودات إلى ذهنى المخطـوطة التى تـركها المفكـر الفرنسى بسكال [المتوفى عام ١٦٦٢] ، والتى نشرت بعد وفاته بحوالى ثمانى سنـوات ، وفى ينايـر ١٦٧٠ على وجـه التحديـد ، وحملت العنوان الشهيـر «أفكار بسكال» (les Pensees de Pascal) . وقد احتوات علـى شذرات مما خلفـه من مسودات كـان ينـوى إصـدارها فى مـؤلف مستقل يحمل أفكـاره وتـوجهاتـه العقليـة ونقـده للحياة الـدينيـة فى عصـره ، والتى شكلت أسس التطورات التى قامت عليهـا العقلانية الدينية فى أوروبـا ومهدت الطريق إلى ظهور العلمانية الغربية فى وقت لاحق . .



ومذكرات جمـال حمدان التى بين أيدينا اليـوم والتى تنشر لأول مرة تضم نوعين من الأفكـار: الأول هو النوع القصير المقتضب الذى لـم يتبلور بعد ، والآخر هو المطول الذى أخذ شكله النهائى فى سياق البحث أو الدراسة .

وقـد توخينـا أثناء عملنـا فى هذه المـذكـرات لإخراجهـا إلى النور عـدم المساس بهـا ، لا بالحـذف ولا بالإضـافة ، احتـراما لفكر الـراحل الجليل ، و إعمالا للمناهج العلمية الأصيلة التى أفنى عمـره فى الأخذ بها والدعوة إلى ترسيخها و إرساء دعائمها . ومع ذلك ، فقـد حجبنا نشر أجزاء كبيرة من هذه المذكرات ، بعد أن رأينـا أن الوقت لم يحن بعد لنشرها نظرا لمـا جاء بها من آراء وأفكار سبق بها جمال عصره واتسمت بـالشجاعة والصراحة المعهودتين فيه ، والتى تحلى بهما طوال حياته ، فهـو كان يفعل ما يقول ويكتب ما يؤمن

به مهمـا كلفه ذلك غـاليا . . وتلك سمات حفنـة من العلماء الأحـرار الذين قامت على أكتافهم الثقـافات والحضارات التى عرفهـا التاريخ ، والتى ذاقوا فى سبيلها ألوانًا من الحرمان والاضطهـاد بل والموت أحيانا! ونعاهد القارئ الكريم إذا مـا آن الأوان ، وإذا ما كان فى العمـر بقية إصدار هـذه الأجزاء فى وقت لاحق لعله قريب ! .

●●●

وقد قسمنـا هذه المذكـرات إلى خمسة فصـول . فأوردنا فى القسم الأول مسوداته التى دونها عن مصر والمصريين ؛ وجاء الفصل الثانى عن الجغرافيا والجغـرافيين . أمـا الفصل الثـالث فقد خصص للعـرب والعـالم العـربى ؛ والفصل الرابع عن الإسلام والعالم الإسـلامى . وتناول الجزء الخامس العالم الغربى .



نبذة عن تاريخ حياة جمال حمدان :

ولد جمـال حمـدان فى قرية ناى بمحـافظة القليوبية «مصـر» فى ٤ فبراير ١٩٢٨ ، فى أسرة كلها صلاح وعلم ، تنحدر من قبيلة «بنى حمدان» العربية التى نزحت إلـى مصر مع غيرهـا من القبائل العـربية أثنـاء الفتح الإسلامى . ولمـا وصل إلى سن دخول المـدرسة الابتـدائية ، أدخلـه والده مـدرسة شبـرا الابتدائيـة للبنين عام ١٩٣٦ ، وحصل منهـا على شهادة الابتـدائية فى يـونيه ١٩٣٩ ، والتحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية فى سبتمبر من نفس العام ، وهو تاريخ إعـلان الحرب العالميـة الثانيـة . وقد واكبت سنوات دراستـه فى هذه المدرسة جميع سنى الحرب ، وما أفرزتـه من آلام ودمار . وفى هذه المدرسة ـ وبالتحديد فى السنة النهائية ـــ التقى بأستاذه الفاضل محمود جمال الدين ،

أستاذ الجغرافيا بالمدرسة الذى حبب إليه هذا العلم ، وجعله يصمم على متابعة دراسته بكلية الآداب ـ جامعة فؤاد الأول [القاهرة حاليا] بعد حصوله على شهادة التوجيهية [الثانوية العامة حاليا] عام ١٩٤٤ بتفوق وكان ترتيبه السادس على طلبة القطر المصرى .

وكانت سنوات دراسته الجامعية كلها جد واجتهاد حيث تتلمذ على أساتذة أفذاذ ، وتعلم اللغة الألمانية وأجادها فى تلك الأثناء . ولما تخرج بامتياز عام ١٩٤٨ كان عمره لا يتجاوز العشرين سنة ! فعيِّن معيدا بالكلية فى نفس السنة . وابتعثته الجامعة إلى انجلترا لاستكمال دراساته العالية . فسافر إلى هناك فى مارس ١٩٤٩ ، والتحق بجامعة ريدنج ، وعاد منها بعد حصوله على درجتى الماجستير والدكتوراه عام ١٩٥٣ . وانضم إلى هيئة التدريس بقسم الجغرافيا ، وظل يعمل به إلى أن استقال عام ١٩٦٩ ، وتفرغ للبحث والتأليف حتى وفاته إثر حادث أليم فى ١٧ أبريل ١٩٩٣ م :



قائمة بمؤلفاته المنشورة باللغة العربية :

* دراسات فى العالم العربى ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
* أنماط من البيئات ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
* دراسة فى جغرافيا المدن ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
* المدينة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
* بترول العرب ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
* الاستعمار والتحرير فى العالم العربى ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
* اليهود أنثروبولوجيا ، كتاب الهلال ، ١٩٦٧ .

* شخصية مصر، كتاب الهلال، ١٩٦٧ .

* استراتيجية الاستعمار والتحرير، القاهرة، ١٩٦٨ .

* مقدمة كتاب «القاهرة» لديزموند ستيوارت، ترجمة يحيى حقى، ١٩٦٩.

* العالم الإسلامى المعاصر، القاهرة ١٩٧١ .

* بين أوروبا وآسيا، دراسة فى النظائر الجغرافية القاهرة، ١٩٧٢ .

* الجمهورية العربية الليبية، دراسة فى الجغرافيا السياسية القاهرة، ١٩٧٣.

* ٦ أكتوبر فى الاستراتيجية العالمية، القاهرة، ١٩٧٤ .

* قناة السويس، القاهرة ١٩٧٥ .

* أفريقيا الجديدة، القاهرة، ١٩٧٥ .

* موسوعة «شخصية مصر ـ دراسة فى عبقرية المكان» ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٧٥ ـ ١٩٨٤ .



المقالات المنشورة باللغة العربية فى المجلات والجرائد

فى مجلة « الهـــــلال » :

١ ـ فلسطين والوحدة ـ سنة ١٩٦٤ « ١٠ صفحات » .

٢ ـ نحو حل علمى لمشكلة قبرص ـ أكتوبر سنة ١٩٦٤ «١٠ صفحات» .

٣ ـ ماذا تعد إسرائيل عسكريا ـ نوفمبر سنة ١٩٦٤ « ٨ صفحات » .

٤ ـ أصول تاريخية وجغرافية فى مصر ــ البيروقراطية والجغرافيا ــ فبراير سنة ١٩٦٥ ـ « ١٢ صفحة » .

٥ ـ هل تملك إسرائيل سلاحا ذريا ــ مايو سنة ١٩٦٥ « ١٢ صفحة» .

٦ ـ إسرائيل الصهيونية وأرض فلسطين ـ عدد فلسطين «٥» السنة ٧٦ مايو سنة ١٩٦٨ «٢٠ صفحة» .

٧ ـ مقتطفات من مقالة «هل تملك إسرائيل أسلحة ذرية» ـ عدد الهلال الماسى «٧٥» . مع صورة للدكتور/ جمال حمدان «صفحة واحدة» .



فى مجلة « الكاتب » :

١ ـ الوحدة العربية بين مقوماتها ومعوقاتها ــ العدد «٥٩» فبراير سنة ١٩٦٦ «١٥ صفحة» .

٢ ـ معركة العودة والاستراتيجية النووية ـ العدد «٦٠» مارس سنة ١٩٦٦ «١٨ صفحة» .

٣ ـ نافذة على البحر الأحمر ـ القصير لابرنيس ـ العدد «٦٢» مايو سنة ١٩٦٦ «١٠ صفحات» .

٤ ـ قضية فلسطين والموقف العربى العدد «٦٥» أغسطس سنة ١٩٦٦ «١٩ صفحة» .

٥ ـ قضية فلسطين ومحور الاستعمار والصهيونية العدد «٦٧» أكتوبر سنة ١٩٦٦ «١٧ صفحة» .

٦ ـ قضية فلسطين والعدو الإسرائيلى ـ العدد «٦٨» نوفمبر سنة ١٩٦٦ «٢٥ صفحة» .

٧ ـ الأردن دولة ـ دراسة فى الجغرافيا السياسية «١» العدد «٧٠» يناير سنة ١٩٦٧ «٢٠ صفحة» .

٨ ـ الأردن دولة ـ دراسة فى الجعرافيا السياسية«٢» العدد «٧١» فبراير سنة ١٩٦٧ «١٥ صفحة» .

٩ ـ نظرة على الموقف قبل المعركة ـ العدد «٧٥» يونيو سنة ١٩٦٧ «١٧ صفحة» .

١٠ ـ أهداف ثابتة ووسائل متغيرة ـ العدد «٧٧» أغسطس سنة ١٩٦٧ «٢١ صفحة» .

١١ ـ حول الدعوة إلى نظرة جديدة إلى القضية الفلسطينية العدد «٨٥» إبريل سنة ١٩٦٨ «١٧ صفحة» .

١٢ ـ فلسطينيات ـ بين معركة الدعاية ومعركة الميدان ـ العدد «٨٧» يونيو سنة ١٩٦٨ «٢٤ صفحة» .

●●●

فى مجلة « مرآة العلوم الاجتماعية » :

١ ـ مورفولوجية الشام العدد الثانى، مارس سنة ١٩٦٤ «٢٦ صفحة» .

٢ ـ نحو مدرسة عربية فى الجغرافيا ـ العدد الأول، ديسمبر سنة ١٩٦٤ «٢٨ صفحة» .

٣ ـ الزراعة فى سوريا، العدد الأول، ديسمبر سنة ١٩٦٥ «٢٠ صفحة» .

٤ ـ دموغرافية العواصم الأفريقية ، العدد الأول ، ديسمبر سنة ١٩٦٢ «١٢ صفحة» .

٥ ـ أفريقيا ـ من جغرافية الاستعمار إلى التحرير العدد الثانى مارس سنة ١٩٥٨ «١٣ صفحة» .

٦ ـ هذه الجغرافية ، العدد الأول ديسمبر سنة ١٩٥٧ «١٠ صفحات» .

٧ ـ الموقع الاستراتيجية للعالم العربى ـ العدد الثانى يونيو سنة ١٩٥٨ «١٣ صفحة» .

٨ ـ التخطيط الإقليمى بين موارد المياه والسكان فى مصر ـ العددان الرابع والخامس ـ مايو سنة ١٩٥٩ «١٤ صفحة» .

٩ ـ تخطيطنا الإدارى فى ضوء نظام الحكم المحلى ـ العدد الثالث ، يونيو سنة ١٩٦١ «١٧ صفحة» .

١٠ ـ أسماء الأماكن فى العالم العربى ـ العدد الثانى ، مارس سنة ١٩٦٣ «١٤ صفحة» .

١١ ـ الصناعة السورية ـ العدد الثانى ، مارس سنة ١٩٦٦ «١٦ صفحة» .



فى مجلة « الفكر المعاصر » :

١ ـ هيكل المجتمع الإسرائيلى ـ العدد «٦» أغسطس ، سنة ١٩٦٥ «١٠ صفحات» .

٢ ـ حول وحدة الرافدين والنيل ـ دراسة علمية لقوة العراق الاستراتيجية ، العدد «١٢» ، فبراير سنة ١٩٦٦ «١٢ صفحة» .

٣ ــ خريطة القومية الأفريقية : تحليل علمي منهجي لوضع الإنسان الأفريقي المعاصر ـ العدد « ١٤ »، أبريل سنة ١٩٦٦ «١١ صفحة» .

٤ ـ من جغرافية الإسلام : دراسة رائدة عن توزيع المسلمين في العالم ـ العدد « ٢٠ »، أكتوبر سنة ١٩٦٦ «١٨ صفحة» .

٥ ـ ليس اليهود من بني إسرائيل : دراسة علمية لأسطورة الأصل اليهودي ـ مهداة إلى سارتر ـ العدد « ٢٤ »، فبراير سنة ١٩٦٧ «١٢ صفحة» .

٦ ـ المعركة لم تنته من بني . . بل بدأت ــ العدد « ٣٠ »، أغسطس سنة ١٩٦٧ «١٥ صفحة» .

٧ ــ نحن والدولة العصرية ــ العدد « ٤١ »، يوليو سنة ١٩٦٨ «١٧ صفحة» .

●●●

في مجلة « كلية الآداب » :

١ ـ في العلاقة بين السكان والتضاريس ـ دراسة في جغرافية السكان ـ المجلد «١٩» الجزء الأول، مايو سنة ١٩٥٧ « ٢٠ صفحة» .

٢ ـ العلمية الجديدة ـ نحو نظرية معرفة متطورة، وعلم منهج جغرافي، عدد «٥٢» ١٩٩١ .

●●●

في مجلة « نهضة أفريقيا » :

١ ـ الخريطة السياسية الأفريقية، «١» ، «٢»، مقالتان ـ العددان «٦٩» ، «٧٠» أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٦٣ «٨صفحات» .

٢ ـ الخريطة السياسية لأفريقيا الجديدة ــ العدد «٧٠» سبتمبر ١٩٦٣ «٩ صفحات» .

٣ ـ العواصم الأفريقيـة «١»، «٢»، «٣» ثلاث مقالات ـ الأعداد «٧٣»، «٧٤»، «٧٥» ديسمبر سنـة ١٩٦٣ ينـاير وفبـرايـر سنـة ١٩٦٤ «٦، ٥، ٧ صفحات».

●●●

في مجلة «المجلـــــة» :

١ ـ الإسلام فى أفريقيا، دراسة سيـاسية ـ العدد «٨٢» نوفمبر ١٩٦٣ «٧ صفحات».

٢ ـ جغرافية الثورة ـ العدد «٨٨» أبريل ١٩٦٤ «٢٠ صفحة» .

٣ ـ جـوانب سياسيـة فى بترول العرب ـــ العدد «٩١» يـوليو ١٩٦٤ «١٤ صفحة».

٤ ـ شخصية مصر ـ مركزية رغم الامتداد ـ العدد «٩٥» نوفمبر ١٩٦٤ «٩ صفحات».

٥ ـــ شخصية مصـر ــ بين ميـاه النيل وطـريق السويـس ـ العـدد «٩٦» ديسمبر ١٩٦٤ «١٠ صفحات» .

٦ ـ شخصية مصر ـ تعدد الجوانب ـ العدد «٩٧» يناير ١٩٦٥ .

٧ ـ من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «١» ـ العدد «١٠٥» سبتمبر ١٩٦٥ «٢٠ صفحة» .

٨ ـ من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٢» ـ العدد «١٠٦» أكتوبر ١٩٦٥ «٢٠ صفحة».

٩ ـ من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٣» ـ العدد «١٠٧» نوفمبر ١٩٦٥ «٢٥ صفحة»

١٠ ــ من جغرافيـة الاستعمار إلـى عدم الانحيـاز «٤» ـ العـدد «١٠٨» ديسمبر ١٩٦٥ «٢٢ صفحة» .

١١ ـ من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٥» ـ العدد «١٠٩» يناير ١٩٦٦ «١٢ صفحة» .

١٢ ـ من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٦» ـ العدد «١» ١٩٦٦ .

١٣ ــ من جغرافيـة الاستعمار إلـى عدم الانحيـاز «٧» ـ العـدد «١١٢» أبريل ١٩٦٦ «١٦ صفحة» .

١٤ ـ بيـن أوروبا وآسيـا ـ نظـائر ونقائض جغـرافية «١» ــ العدد «١٣٦» أبريل ١٩٦٨ «١٦ صفحة» .

١٥ ـ بين أوروبا وآسيا ـ نظائر ونقائض جغرافية «٢» ـ العدد «١٣٧» مايو ١٩٦٨ «١٣ صفحة» .

١٦ ـ بين أوروبا وآسيا ـ نظائر ونقائض جغرافية «٣» ـ العدد «١٣٨» يونيو ١٩٦٨ «١١ صفحة» .

١٧ ـ بين أوروبا وآسيا ـ نظائر ونقائض جغرافية «٤» ـ العدد «١٣٩» يوليو ١٩٦٨ «١١ صفحة» .

●●●

فى مجلة « الأهـــــرام » :

١ ـ من مشاكل الحكم المحلى ـ عصر التفرقـة بين «مديرية» «محافظة» لايزال باقيا «٢٦/ ٨/ ١٩٦٤» .

٢ ـ حـول برنـامج العمل الـوطنى والدعـوة إلى خريطـة جديـدة لمصر ـ خريطة مصر الجديدة وجغرافية سنة ٢٠٠٠ (١) الأهرام «١١/ ٨/ ١٩٧١» .

٣ ـ قضية إعادة بناء القرية (٢) الأهرام «١٥/ ٨/ ١٩٧١» .

٤ ـ اتحاد الجمهورية العربية : الدولة والرسالة ـ الأهرام «٢/ ٩/ ١٩٧١».

٥ ـ معادلة القوة الجديدة فى الاستراتيجية العالمية : لعبة توازن القرن التاسع عشر. . فى صورة أكبر ـ الأهرام «١٣/ ٢/ ١٩٧٣» .

٦ ـ محاور الاستقطاب فى آسيا : هل تصبح آسيا الجديدة . . هى أوروبا القرن الجديد ـ الأهرام «٢٤/ ٣/ ١٩٧٣» .

٧ ـ اقتراح محدد حول إعادة تخطيط أرض المعارض ـ الأهرام «١٤/ ٧/ ١٩٧٣» .

٨ ـ لا تنقلوا عاصمة مصر «١٨/ ٦/ ١٩٧٦» .



مقالات أخرى فى مصادر متنوعة :

١ ـ نمو وتوزيع السكان فى مصر ١٩٥٩ ـ القاهرة .

٢ ـ إعادة بناء القرية المصرية ـ مجلة الطليعة ـ عدد مايو ١٩٧٦ .



قائمة بمؤلفاته وبحوثه
المنشــورة باللغة الإنجليزية

- Population of the Nile Mid - Delta, past and pressent, Reading University, June 1953, 2 vol..

- Khartum: study of a city, Geog. Review, 1956.

- Studies in Egyptian Urbanism, Cairo, 1960.

- Evolution of irrigation agriculture in Egypt, in : A history of land use in arid regions, ed. L. Dubley Stamp, Unesco, Paris, 1961.

- Egypt, the land and the people, in: Guide book to geology, 1962.

- Pattern of medival urbanisn in arab world, Geog. Review, April 1962.

- Political map of the new Africa, Geog. Review, oct. 1963.

- The four dimensions of the Egypt, Cairo, 1994.

●●●

* مؤلفات صدرت عن جمـــال حمدان :

١ ـ «جمـال حمدان فى ذمـة التاريخ» للـدكتور محمـد الغنيمى مقلد، القاهرة ١٩٩٣ .

٢ ـ صاحب شـــخصية مصـــر ومـلامح من عبقرية الزمـــان، للدكتور عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة ١٩٩٣ .

وذلك بـالإضافـة إلى العديـد من البحـوث والمقالات التى صـدرت فى المجلات والصحف المصرية والعربية .



وبقيت لنا كلمـة أخيرة. لقـد آلينا على أنفسنا رغم صعـوبة المهمـة وما يحفها من مـزالق، إصدار هذا الجزء فى شكلـه الحالى، إيمانـا منا بأن من حق القارئ الكريم علينا أن يطّلع، ولو جزئيا، على ما خلفّه الراحل الدكتور جمال حمدان من آراء وأفكار تدعـو كلها إلى التأمل والتفكير، وتناولت أمورا على درجة كبيـرة من الأهمية لمصر والعالم العـربى والإسلامى وعلاقـاته مع الغـرب، وهى موضـوعـات محـورية وحـاسمـة تفرض نفسهـا على مصيـر الشعوب وهويتها وهى على أعتاب القرن الحادى والعشرين .

ورأينا أنه من الخطأ أن تظل هذه «المسودَّات» حبيسة الأدراج دون أن ترى النور بعد أن أصبح صاحبها مِلكا لمصر وتاريخهـــا . .

دكتور

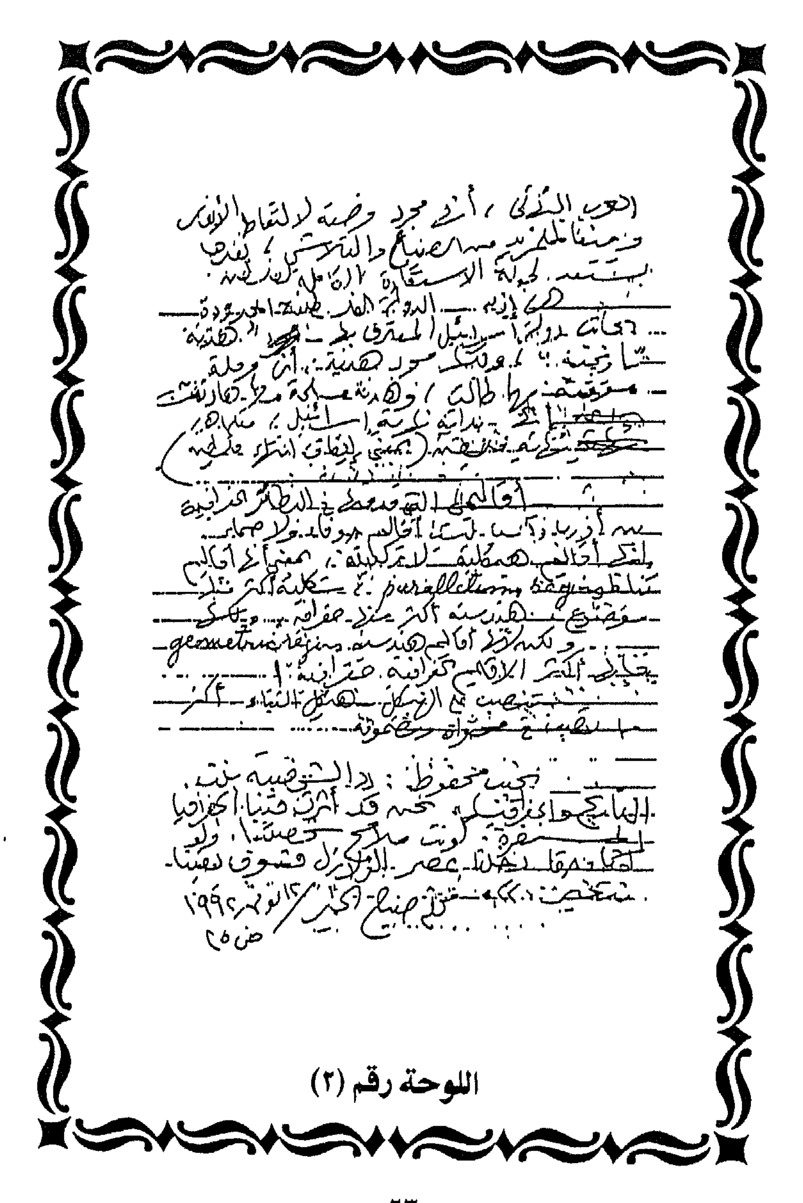
عبد الحميد صالح حمدان

●●●

من الآفة بشدة أنه أهم خصائص وصفة
ومنه هي نفس أهم خصائص وصفات أمة
الإسلام، أي العالم الإسلامي، وهي التوسط والاعتدال
في الجانبين. فالعالم الإسلامي متوسط الموقع بمناخ العالم
القديم، ويشبه الطبيعة أقرب إلى الاعتدال بحكم
هذا التوسط (موقع متوسط، وموضع معتدل)
أما الإسلام فيقال لنا (؟) إنه دين التوسط والاعتدال.
لا إفراط ولا تفريط، لا تطرف ولا تعنت.

فعالم أوربا والعالم العربي (أكثر توسطا)
هما وجهان مشتركان في التاريخ البشري المشترك، هما
قريب رهان التاريخ والحضارة والثقافة والاستراتيجية
والدين والطبيعة والعلم والحرب. وإذا كان هناك
تناقض فصراع [illegible] إنما يؤكد [illegible] في البنية والوحدة
~~[illegible] وإذا كانت أوربا تنكر هذا [illegible]~~
ومن هنا يجب ألا ننفصل عن أوربا، باعتبار
وجدنا الأعرق والأسبق والأكثر أصالة وريادة في
في سلم [illegible] إنما بحكم ولكنه معزول تماما كالمنفصل أو [illegible]
الموجود ([illegible] الاتصال) وإنما [illegible] مجرى التاريخ
(انفصال) [illegible] وكل يتفاخر [illegible] أنهم [illegible] أوربا
[illegible] الفنية [illegible] زكريا [illegible] فإن [illegible]
يستغني أنه [illegible] على أوربا مع الغرب والمسيحية (أكثر
وأوسط)
[illegible] الطبيعة [illegible] الأصلية البرية.
[illegible] القادمين [illegible] كلا الاثنين، [illegible]
الطغيان والرهبنة الأوربية المتحيزة.

اللوحة رقم (١)



العرب البدائي، أي مجرد فرصة لالتقاط الأنفاس
ومنها للمزيد من الصنائع والتكتيك، يقدم
[illegible] لجولة الاستفادة [illegible]
هي إذن ... الدولة [illegible] المحدودة
... كانت دولة إسرائيل المستقبل بعد [illegible]
[illegible] عندك مجرد [illegible]، أي مرحلة
مؤقتة، [illegible] طالت، وهذه عملية [illegible]
[illegible] بداية نهاية إسرائيل، مثلها
[illegible] (يعني [illegible])
أقاليم التي [illegible] في [illegible]
من أوربا وآسيا، ليست أقاليم [illegible] ولا صماء
لكن أقاليم [illegible] لا [illegible]، بمعنى أن أقاليم
[illegible] في parallelism [illegible] شكلية أكثر منها
موضوعية، هندسية أكثر منها جغرافية ... وبالتالي
geometric regions ولكنها أقاليم هندسية
[illegible] أكثر الأقاليم جغرافية، [illegible]!
[illegible] في [illegible] أكثر
[illegible]

بحث مخطوط: [illegible]
[illegible] قد أثرت فيها الجغرافيا
[illegible]، ولعل
[illegible] عصر الزلازل فسوف [illegible].
[illegible] ١٢ نوفمبر ١٩٩٢
ص ٢٥

اللوحة رقم (٢)

ـ في المشرق العربي، كانت [illegible] في القرن ١٩
وحتى منتصف القرن ٢٠ هي "بريطانيا العظمى"
[illegible] في حركة [illegible]، سائدة [illegible]
أعوام ...
[illegible] أصبحت [illegible] هي "أمريكا
العظمى" في كل معنى [illegible]
بريطانيا العظمى" [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] العربية [illegible]
[illegible]
[illegible] كانت هنا [illegible]
في هذا [illegible]
[illegible] الشعب [illegible]
[illegible]
[illegible] مجرد العملة، قوة ثقافية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] أوربا [illegible] الجديدة [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] عودة [illegible]
العالم الإسلامي في الاستراتيجية
العالمية"
[illegible]
أصبحت [illegible]

اللوحة رقم (٣)



مذكرات فى
الجغرافيا السياسية

الفصل الأول
مصر والمصريون

١

الفصل الأول

١

مصر والمصريون



مصر والمصريون ....

* مصر اليوم : إما القوة أو الانقراض، إما القوة وإما الموت! إن لم تحقق مصر محاولة قوة عظمى تسود المنطقة بأثرها، فسوف يتداعى عليها الجميع يوما ما «كالقصعة!» أعداء وأشقاء وأصدقاء، أقربين وبعيدين «وأبعدين!». زنوج أفريقيا سيكونون أول أبناء آوى، ولكنهم سيدعون زنوج النيل لينوبوا عنهم ويقفون هم يتفرجون فى حياد كاذب فى انتظار العزاء بعد الوفاة(الحبشة + السودان + أعالى النيل قد يحاربون مصر يوما ما عسكريا! ثم إسرائيل + عرب البترول + تركيا وإيران . . إلخ) .

المشرق العربى هو «خاصرة» العالم الإسلامى المحصورة بين «البحار الخمسة» : المتوسط، الأحمر، البحر العربى، الخليج، البحر الأسود.

* عنصريا، الطبقة الوسطى (اجتماعيًّا) هى المضطهدة من أعلى ومن أسفل على السواء. فالغرب يحارب ويطارد العرب وأبناء الشرق الأوسط ولا

يمس السود الأفريقيين . . إلخ وقديما أباد الأوربيون الهنود الحمر «وهم أرقى جنسيا من السود بكثير» . ثم جلبوا ملايين الأفريقيين السود إلى القارة بدلا منهم :

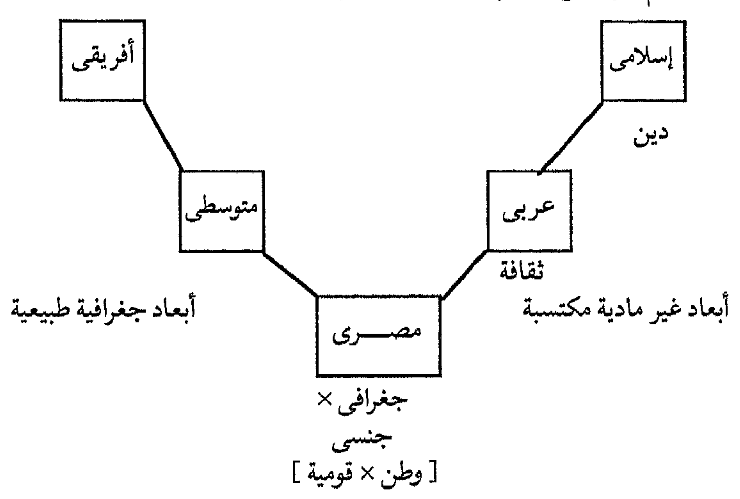
* الله أعلم حيث يضع رسالته ـ هذا هو «الحتم الإلهى» . وهو الحتم الوحيد الصحيح والمطبق .

لكن الحتم الإلّهى= الحتم الجغرافى + الحتم التاريخي .

* الغريب أن كل شيء فى مصر القديمة يبدأ لأول مرة ، ولكنه لا يلبث أن يتقوقع ويستنقع ويصبح محليا لا عالميا .

الزراعة والحضارة طبعا .

لكن حتى السفن! أول من اخترع السفن والملاحة هى مصر على النيل + البردى . ولكن لأن أخشاب مصر لا تصلح للبحار العالية اقتصرت ملاحتها «حتى بعد ومع أرز لبنان» على النيل ومصر وهكذا اخترعت مصر الملاحة ، ولكنها لم تنزل إلى البحر والملاحة البحرية البعيدة المدى .



أن تكـون مصـريا فهـذا يعنى فى الـواقع شيئين فى وقت واحـد : الأرض والشعب ، الوطن والقومية فالمصريـة للمصرى هى قاعدة الأساس ، وقاعدة الارتكاز وهى قاعدة مركبة لا بسيطة من عنصرين لا عنصر واحد .

هذه القاعدة الأساسية لها أبعاد خارجيـة أو أبعد آفاقًا وآفاقًا وأكثر اتساعا ولكنهـا بالضـرورة أقل كثافـة وأسـاسية أى أكثـر ثـانويـة هذه الأبعـاد ليست مجموعـة شتى ومختلطة ، ولكن هـذا الخلط هو سبب عـدم وضوح الـرؤية والاختلاف فى الرؤية حيث لا ينبغـى خلط أو اختلاف . فهذه الأبعاد ليست متجانسة وليست من نوع أو طبيعة واحدة ، فهى مجموعتان أو حزمتان : أبعاد جغرافيـة طبيعية بحتـه أى إقليمية من صنع المكان والطبيعـة ، أبعاد مكـانية باختصار؛ ثم أبعاد بشرية .

من المتغيرات الخطرة التى تضرب فى صميم الوجود المصرى ليس فقط من حيث المكانة ولكن المكان ذاته ما يلي :

(أ) أصبحت أرض مصر معرضة للتـآكل الجغرافى لأول مرة فى التاريخ كله و إلى الأبد إذ تحولت من عالم متناه بالطبع والطبيعة والجغرافيا إلى عالم متآكل بفعل الإنسان فأولا السد العالى أوقف نمو أرض مصر أفقيا ورأسيا . . وعرَّضها للتآكل البحرى والصحراوى .

(ب) أصبحت أرض مصر «أرضا مغلقة» بيولوجيا بلا صرف بل مصرف . وبالتالى لا تتحدد مياهها وتربتهـا ، كما لم يعد تحدد أرضها وترابها ، من ثم أصبحت بيئة تلـوث نموذجيـة وبقدر ما هى بللـورة مركـزة طبيعيا ، ستصبح بللورة تلوث مكثفة حتى الموت البيولوجى .

(جـ) لأول مرة ظهـر لمصر منافسـون ومطالبون ومـدعون هيدرولـوجيا . كانت مصر سيـدة النيل ، بل مالكة النيل الوحيـدة ـ الآن فقط انتهى هذا إلى الأبد ، وأصبحت شريكة محسودة ومحاسبـة ورصيدها المائى محدود وثابت

وغير قابل للزيـادة، إن لم يكن للنقص، والمستقبل أسود. ولت أيام الغرق وبدأت أيـام الشرق وعرفت الجفاف لا كخطـر راجع ولكن دائم. «الجفاف المستديم» بعد «الرى المستديم»!.

(ء) فى الوقت نفسه بلغ سكان مصـر الذروة غير المتصورة قط، وهكذا بينما القـاعدة الأرضية والمـائية انكماش أو ثبـات أو انقراض، وصل الطفح السكانى إلى مداه. ولم يبق سوى المجاعة وبقى عامل السكان الذى تعدى إمكانيات الأرض، أصبح بالوعة للأرض وآكلا لها، فهو لا يتجاوز إمكانيات الأرض فحسب، وإنما تقلصهـا بقدر مـا يتوسع إسكـانا فى المـدن والقرى والطرق إلخ حتى سيأتى اليـوم الذى تطرد فيـه الزراعة تمامـا من أرض مصر، لتصبح كلها مكـان سكن، دون مكان عمل أى دون عمـل، أى دون زراعة، أى دون حيـاة أى موت! لتتحـول فى النهايـة من مكان سكن على مستـوى الوطن إلى مقبرة بحجم دولة.

(هـ) مع كل هـذه الانكماشات والانـزلاقات الـداخلية والـذاتية، أتت الكوارث الخارجة لا فرادى ولا بالمثنى ولكن بالجمع والجملة.

* إسرائيل.

* بترول العرب.

* الانقلاب الكونى العالمى فى الحضارة والتكنولوجيا والهيمنة الأمريكية وسقوط السوفييت إلخ هذا وحده عصف بكل مـا تبقى من مكانة مصر، بعد أن تآكل المكان من العوامل الداخلية:

المتغيرات الداخلة تخرّب المكان.

المتغيرات الخارجة تخرب المكانة.



مصر تختلف عن كل بلاد العالم من حيث مشكلة تلوث البيئة.

فهى أول بيئة زراعية فى التاريخ غالبًا .

وهى الآن أول بيئة مرشحة للإنقراض والاختفاء فى التاريخ أيضا .

نعم، حسم مصر كله مهدد بالانقراض الكلى لماذا؟ لأن مصر «عالم متناه» غير قابل للنمو أو الزيادة أو للتمدد تقريبا .

والآن يتعرض لأكبر عملية تلويث كيماويا + تآكل ميكانيكيا، بحيث قد يأتى اليوم الذى تصبح فيه بيئة غير صالحة بتاتا لاستمرار حياة الإنسان . وعندئذ ينقرض السكان والإنسان بعد انقراض الأرض والبيئة!

●●●

حضارة مصر الفرعونية «حضارة بيئية» بكل معنى الكلمة، بمعنى أنها تعبر عن البيئة الطبيعية وتعتمد عليها وتعيش فى كنفها بشكل حميم للغاية، فهى**Symbiosis** لا مثيل له .



مصر هى النموذج الأول **prototype blue Print** لإثنولوجية وانثروبولوجية الشعب والدولة والتركيب الجنسى للدولة القادمة فى العالم أجمع .

بدأت مصر القديمة دولة مكونة من عناصر جنسية مختلفة ولكن متقاربة ثم انصهرت فى بوتقة فكانت شعبا متعدد الألوان يجمع بين البيض والسمر بدرجة مختلفة .

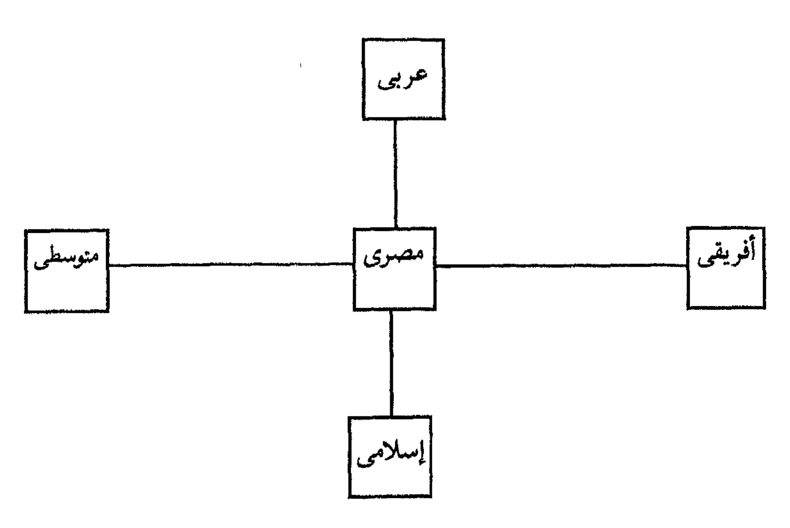


فى أبعاد وتشخيص الشخصية المصرية السابقة يضاف الآتى :

الأبعاد الجغرافية هى أبعاد أفقية .

الأبعاد البشرية هى أبعاد رأسية .

وعليه يمكن تعديل الرسم إلى الشكل الآتى :



كما أن مصر تركت أطرافها وأركناها القصية مهملة عبر التاريخ ، فملأتها أقليات من الشعوب المجاورة ، فالغـريب أن هذا ينطبق على العالم العربى ككل ، فقد طغت الأقليـات المجاورة على أطراف الدولـة فى المشرق حتى (الخليج ومن العراق وسوريا) كما فى المغرب (الزنوج) .

الفروق الأساسية بين أقطاب الشرق الأوسط الثلاثة:

مصـــــر: أقدم الامبراطوريات وأقواهـا ولكن بعد السبق فقدت باستمرار . فى أوجها لـم تسيطر على إيران أو تركيا . وبالكاد تعادلت مع الحيثيين .

تلتها إيران «فارس» بامبراطورية لاتقل ضخامة وخطرا، وللأسف سيطرت على مصر واستعمـرتها فى العصور القديمـة أما فى العصور الحـديثة فحين كانت مصـر مستعمرة عثمانيـة ، كانت إيران فارس امبـراطورية كبـرى تناوئ تركيا وتقاوم الروسيا .

أخيـرًا تلت تـركيا ، ولـم تلبث أن أصبحت ندًّا لإيـران ثم تفـوقت عليهـا

وحجّمتها، بينمـا سيطرت على مصـــــر ٤ قرون وقهرتها وأذلتهـــا؛ دون أن يسبق لمصر قهـرها أو استعمارهـا رغم نصر عسكرى عابـر يوما مـا «إبراهيم باشا»، فلا شـك أن سيطرة تركيا على مصر وسيادتها عليهـا لا تقارن قط برد مصر المحدود.

فمصر إذن عينهـا مكسورة من تركيـا أساسا «لأن سيـادتها أقرب تـاريخيًّا ولازالت فى الأذهـان» وعقدة مصر ومـركب نقصها من نـاحية تـركيا واضح، والتقارب بين مصـر اليوم وتركيـا هو نفـاق متبادل لا يخفى كراهيـة مصر ولا استعلاء وغطرسة تركيا.



ببساطـة إن مصر أقدم وأعـرق دولة فى الجغرافيـا السياسية للعـالم، غير قابلـة للقسمة على اثنين أو أكثـر مهما كـانت قوة الضغـــط والحـــــرارة مصـــــر هى «قدس أقداس» السياسـة العالمية والجغرافيـا السياسية، ومن المتصور تماما و إن بدرجات متفاوتة أن تنكمش أو تنقسم كل دول العالم بلا استثناء إلا مصر! لماذا مرة أخرى؟ لأن مصـر السياسية هى ببساطة من خلق الجغرافيـا الطبيعة لا التـاريخ ولا السياسيـة ولا الصدفـة ولا القوة إنهـا نبت طبيعى بحت.



يقول البعـض للأقبـاط، إننا شركـاء حضارة واحـدة هى الإسـلام، وإننا نختلف دينـا ولكن نشتـرك فى الحضـــارة وحضـارة القبطى هـى الحضـارة الإسلامية.

حسنـا، ما المقصـود بالحضـارة الإسـلامية؟ إذا كـان الماضى، فـذلك صحيح، أى إننا شركاء فى التراث.

ولكن إذا كـــان المقصـود الآن والعصـــر الحـديث فأين هـى الحضـارة

الإسلاميـة؟ إن كل حياتنا الماديـة هى الحضارة الغربيـة ١٠٠٪. هل مجرد المساجـد والجوامع تجعلنـا حضارة إسلاميـة؟ كلا، إن المـوجود الآن ليس حضارة إسلاميـة ولكن ثقافة إسلامية، وجـزئية عند ذلك هى اللغة طبعـــا والدين + التلمذة الثقافية للغرب.

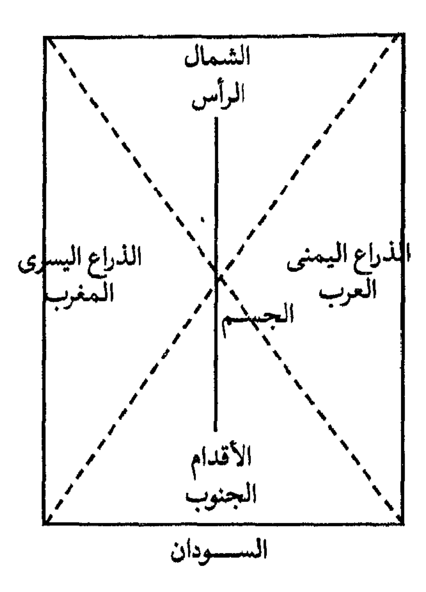
إذن نحن والأقبـاط شركـاء ـ بعد الـوطن والتاريـخ والحضارة الإســلامية قديما ـ شركاء الآن فى الثقافة نصف الغربية نصف العربية الإسلامية، وذلك بصرف النظـر عن عناصر الـوحدة الـدينية البحتة بين الإســلام والمسيحية، فضلا عن وحـدة العنصر والأصل.. إلخ إنهم أقـرب المسيحيين فى العالم إلى الإسلام بمعنى مـا أو آخر. وفى هذا تفـرد الأقلية القبطية لتضـــاف إلى عناصر تفرد مصر بعامة. وكمـا أن مصر «فلتة» جغرافية، فإن الأقباط «فلتة» طائفية.

فى كتابه «المشرق المسيحى قبل الإسلام» يقـول الدكتور إدمون رباط إن المسيحيين اليعاقبـة (وهم طائفة المسيحيين الغـالبة آنئذ) كـان عددهـم فى مصر ٦ مـلايين + ٢٠٠ ألف مسيحى خلقدونى معظمهم من الروم واليـونان فى مدينة الإسكندرية وحولها.

وفى مجـزرة بيزنطيـة واحدة قتلت الـدولة البيـزنطية فى مصـر ٢٠٠ ألف قبطى من أنصار الطبيعة الواحدة ويقول المطران الأرثوذكسى جورج خضر إن الغالبية العظمى من سكان سوريا الطبيعية ظلت تنتمى إلى المسيحية طوال ٥ قـرون بعد الحـروب الصليبيـة وكـانت نسبتهم (أى المسيحيين) ٨٠٪ من السكان قبل الحروب الصليبية.

●●●

الرأس تركيا
الرقبة الشام



الجهات الأصلية فى مربع علاقات مصر الخارجة وأبعادها المتعددة.

المؤثرات الجنسية الثانوية التى اتضحت فى سكان مصر هى بمثابة الرأس من الشمال (تركيا وحولها) والشام (الرقبة) أما الذراعان فالمشرق العربى والجزيرة ثم المغرب أما القدمان فالسودان وحوله والمؤثرات الثانوية من الجهات الأربع الفرعية :



مصر وسط بين : أوربا الغربية وآسيا الموسمية ، بين غرب آسيا وجنوب

أوربا ، بين الهند وإيطاليا ، من الناحية الجنسية الانثروبولوجية .

خـلال العصر العـربى ، ومن واقع كتب الحـوليات ، عـدَّ البعض زلازل مصر بنحو ٥٠ زلزالا .

الغريب أن هذا نفس عدد الفيضانـات الخطرة والمجاعات التى وجدتها خلال نفس العصر!

مصر، زلـزاليا ، ليست «ذات النطاقين» وإنمـا هى «بين النطاقين» أو قل هى شكلا «ذات النطاقين» وموضوعا هى ما بين النطاقين .



أكبر كتلة منفردة من الإسلام على الأرض هى مصـر، تليها جاوة ـ فمصر قد لا تكـون أكبر جـزيرة بشـرية منفـردة فى العالم سكـانيا ، ولكنهـا كذلك إسلاميا .

●●●

انقذوا مصر من القاهرة، والقاهرة من نفسها !

كل طوبة توضع فى القاهرة ، هى جريمة فى حق مصر كلها وأولها القاهرة نفسها .

كل كوبـرى يبنى داخل القاهرة ، هو كـوبرى مسروق من مدينـة أو قناة أو منطقة أخرى فى مصر .

الصعيد قاع مصر اليوم ، اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا وطائفيا . . إلخ قد يبدأ انفجار مصر من الصعيد .



●●

المشروع القومى ليس إلا بناء مصر، مصـر القوية الكريمة . أى العمل ،

الإنتاج، المادى والسلعى مع إعـادة توزيع العائد بعدالة «الدولـة العصرية» هى الـمشروع القومى والمشروع القومى تسمية جديدة فقط للدولة العصرية .

حين نقول مصر القوية، فنحن نقصد مصـر القوية العزيزة الكريمة، فى الخـارج والداخـل والقوة وحـدهـا على خطـورتها لا تكفى، فـالصـوت فى الغنـاء، لا تكفيـه ـ القـوة بل لا بـد من ثنـائى القـوة الجمال. مصـر القـوة والجمال ــ هذا ما نريـد ـ القوة هى التحـرر الوطنى والسيادة الوطنيـة والعزة القومية ونفى التبعية والاستعمار والصهيونيـة و إسرائيل : أما الجمال فهو عزة الإنسـان المصرى فى دولته القوية : العدالة، المساواة، إعادة توزيع الملكية والدخل .



هكذا مصر تأخذ وتعطى تؤصل وتوصل . الجغـرافيا قديمة جدا من أقدم العلوم ولكنها كلما تغيرت كلما كانت نفس الشيء تماما كمصر.





مذكرات في
الجغرافيا السياسية



الفصل الثانى

٢

الجغرافيا والجغرافيون



الجغرافيا والجغرافيون ....

العلم الحائــــر !

لـم يعد أدنى شك أن الجغرافيا تزداد حيرتها فى العالـم كل يوم أكثر وأكثر، فى عصر العلـم والتكنولوجيا والمعلوماتية والليزر والأقمار الصناعية . . إلخ .

كل هذه تلقى على الجغـرافى أعباء جديـدة رهيبة ، وهو الـذى ناء وركع تحت وطأة وثقل أعبائه السابقة! ما العمل؟ كيف ينهض ، كيف يزحف كيف يمشى ، كيف يركض ، كيف يقفز؟

لابد أن يخـوض الجغرافى الإلمام بكل التكنيك العلمى الجديـد ، يأخذ عنـه فكـرة واضحـــة ، لا ليتحـول إلى متخصص فيـه ، بـل مجـرد متلصص عليه . . ولكن فى نفس الوقت فإن هذا يـؤكد أكثر من أى وقت مضى وللمرة الألف بعـد المليون أن الجغـرافيـا فلسفة المكـان ، فلسفة الأرض ، فلسفـة

العالم، فلسفة الكرة الأرضية لا أكثر ولا أقل ـ لاستحالة أن تكون غير ذلك.
نحن ندعو إلى الحد الأقصى من العلم والعلمية فى الجغرافيا لتواكب عصر العلم والتكنولوجيا الفائقة، وفى الوقت نفسه إلى قلب الجغرافيا وموطنها النهائى وهو فلسفة المكان ـ الحد الأقصى من العلمية مع الحد الأقصى من الفلسفية، وتحقيق ومواءمة هذه الثنائية هى جوهر «فن» الجغرافيا .

●●●

كل يوم يزداد العالم تقلصا وانكماشا بتقاربه وتلاصقه وتوحده ـ القرية الكوكبية أو الكوكب ـ القرية، ولكن حجمه وعبئه على الجغرافى يزداد فداحة وضخامة.

ميزة وقوة الجغرافيا، سر المهنة وسر القوة، هو أنها تعتمد على التقسيم المكاني، فالتقسيم المكاني هو «تصنيف فى المكان» بلاطات وقوالب وألواح وشقافات (= أقاليم وأشباه أقاليم من مختلف الدرجات والمساحات) تقسم إليها الظاهرة المعطاة أو المدروسة والتى قد تكون عائمة هلامية سايحة فتصبح محددة، واضحة الحدود، واضحة فى الذهن، أى تصبح علمية (+ فنية).

أى قولبة الهلامى، بعد وبدل هلامية التكوين.

●●●

الجغرافيا = عملية + توزيع .

بعبارة جديدة الجغرافيا = ميكانيزم + صورة.

الآن الجغرافيا هى التى تقدم الصورة للمتعلم والمثقف أكثر من الميكانيزم الذى هو ألصق بالعلوم الأولية من هنا كان للجغرافيا ميزة حاسمة على علوم كثيرة كالنبات والحيوان والجيولوجيا والميتورولوجيا فهى وحدها التى تقدمها للطالب الثانوى ثم للجامعى غير المتخصص. نحن أفضل

موصل جيد للعلوم الأولية إلى غير المتخصص، سواء مبتدئ أو ناضج .

كذلك ، لما كان الميكانيزم فى العلوم الاجتماعية كالاجتماع والسياسة إلخ ثانوى الدور وأقرب إلى الحدس والعقل الفطرى ، فإن الجغرافيا تكاد تحتكر الصورة + الميكانيزم فى حالتها ، تعكس العلوم الطبيعية الذى يظل الميكانيزم فيها خطيرا جدا بالطبع وغاية فى ذاته .

●●●

قد لا تكون الجغرافيا قمة العلوم ، ولكنها بالتأكيد قمة الثقافة . الجغرافيا هى أعلى مراحل الثقافة ، وهى علم الثقافة الأساسى بدونها أنت غير مثقف مهما فعلت ، وبها أنت مثقف مهما قصَّرت .

لن تكتب فى الثقافة العامة جغرافيا بحتة أو صرفة! كلا ، ستكون ثقافة عامة مشبعة أو مشعشعة أو مدعمة بالجغرافيا ، ترتكز على الجغرافيا ولكنها لا تركز عليها . الجغرافيا فيها أساسى ولكن ليس الصرح بالضرورة الجغرافيا فيها جزء لا كل باختصار وعندئذ عليك أن تخضع الجغرافيا للثقافة بينما فى العلم البحت تخضع الثقافة للجغرافيا .

كما أن الأسلوب الروائى الدميم ليس شرطا للكتابة العلمية ، فإن الأسلوب الجميل ليس حكرا على الأدب والكتابة الأدبية ، وليس كل كتابة جميلة الأسلوب أدبية أو من الأدب فى شىء بالضرورة .

●●●

لا ينبغى للجغرافى أن يشعر بمركب نقص إزاء العلوم الأخرى التى يأخذ منها ، ولكنه أيضا لا ينبغى أن يكوِّن لنفسه مركب عظمة إزاءها فالتوازن النفسى مطلوب كالعلمى .

الجغرافيا هى التسمية المقترحة لـ **geohistoire** على غرار الجغراسيا .

إذا كانت العلوم اثنتين : مفيدة ومنوِّرة ، فإن الجغرافيا إن تكن أكثر العلوم المنورة بلا نزاع ، فإنها ليست بالضـرورة أقل العلوم المفيدة إفادة . فهى قد لا تقل فـائدة عن الاقتصاد ، وبـالتأكيد عن الاجتمـاع أو علم النفس التطبيقى إلخ .

وبالصفة الأولى ، فإن الجغرافيا هى قمـة علوم الثقافة وعلم الثقافة الأول مثلما سيدة العلوم الاجتماعية غير منازعـة وبالصفة الثانية فإنها لا تقل مكانة وجدوى عن العلوم الطبيعة .

[الجدوى العلمية نقصد بها مـدى فائدة أى علم للحياة العملية والإنتاج المادى] .



الجغرافيا علم خالد من الأزل إلى الأبـد وخالد لأنه حتمى لا مفر منه ولا بديل عنه .

أزاح الأعـلام العلم عن الصدارة ، وأصبح العلمـاء هم برولتـارية العـالم الجديد الذى خلقوه بعلمهم وتكنولوجيتهم .



أمريكا الشمـالية من الناحية الجغـرافية الضيقة وأقاليم هـريرتسن تساوى أوراسيا (أوربـا + آسيا) مضغوطـة وعلى تصغير، ومع استبعـاد قلب أوراسيا القارى جدا . وأقـاليم شرق القارة فى الحالتين واحدة ، وكـذلك أقاليم غرب القارات ، بل وأيضا أقاليم وسط القـارات وخطوط النص متقاربة ، والاشتراك فى الأقاليم الطبيعية واضح حتى الإقليم الصينى فى فلوريدا وحولها ، وأقليم المتوسط فى كاليفورنيا . وكما تنتهى أوربـا عند البحر المتوسط تنتهى أمريكا عند الكاريبى ولكن يمكن اعتبار أن الهند الموسمية يقابلها مثلث المكسيك

وإن بتخفيف نسبى ، كما أن جزر الهند الغربية المدارية شبه الاستوائية تقابل جزر الهند الشرقية وإندونيسا المدارية الاستوائية .

من ناحية أخرى ، أفريقيا جنوب الصحراء تساوى وتناظر تماما أمريكا الجنوبية ابتداء من بنما . فالأقاليم الصينية مشتركة ومتناظرة وحتى الشكل المثلثى متقارب ورغم الكورديرا فى أمريكا الجنوبية (كما فى الشمالية) والتشابه واضح .

ترتب على هذا أننا لو حذفنا الصحراء الكبرى من أفريقيا ولحمناها بأوربا فى كتلة واحدة ، لأصبحت مشابهة ومناطقها تماما لكتلة الأمريكتين تقريبا لاسيما إذا حذفنا أمريكا الوسطى من الأخيرة أى أن :

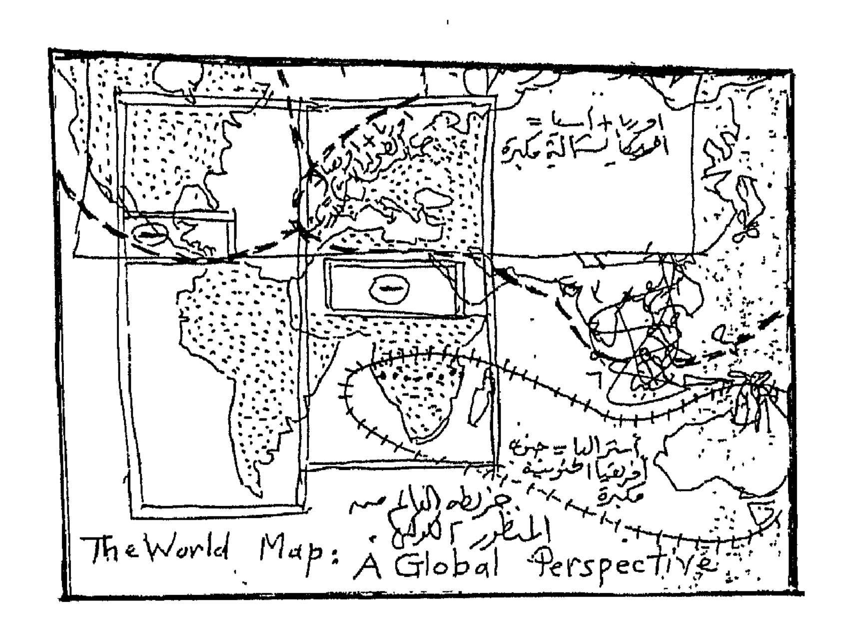
أوربا + أفريقيا (ـ الصحراء الكبرى) = الأمريكتين (ـ أمريكا الوسطى) .

لا يبقى سوق استراليا خارج هذا المنظور الكوكبى لخريطة العالم . ولكنها أقرب شىء إلى جنوب أفريقيا حوالى مدار الجدى على تكبير (كلهارى هى صحراء استراليا مصغرة جدا)منها إلى أمريكا الجنوبية .

«خريطة العالم من منظور كوكبى » .

The World Map: A Global Perspective .





« خريطة العالم من منظور كوكبى »

الأطلس هو كتاب الجغرافيا الأول (والأخير؟) فهو منبع ومصب الجغرافيا جميعا .

من هنا كانت الخريطة هى شفرة الجغرافيا ومفرداتها إنها لغة الجغرافيا بامتياز، الخريطة هى اللغة الجغرافية الأساسية . وهى لغة عالمية غير مكتوبة وإنما مرسومة أو قل إن أبجَديتها رسوم وإذا كانت الخريطة هى كلمة الجغرافيا ، فإن الأطلس قاموسها .

والجغرافيا هى علم المكان **place Science** .

نقطة ضعف الجغرافيا القاتلة هى أنها يمكن الحياة بدونها . لن تتوقف الحياة أو تموت البشرية أو ينتهى التاريخ إذا لم تعرف جغرافيا !

هذا هو المقتل وهو جزء من مقتل الثقافة عامة فأنت لن تقوم القيامة إذا لم تكن مثقفا ! بل ربما أرجح كنت أسعد وأنجح . [وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم !] .

ذو الجغرافيا يشقى فى النعيم بعلمه ، إلخ إلخ

الجغرافيا هى كل ما ترى العين خارج البيت أو الجدران **out of doors** كل ما نراه خارج البيت أى فى الطبيعة أو فى البيئة أو فى الشارع (أى خارج البيت) هو جغرافيا (بحتة !) فكل إنسان ، جغرافى أو غير جغرافى ، يرى الجغرافيا حيثما كان وأينما تحرك ، بل إنه إنما يتحرك «فيها» ولا مهرب له منها البتة «حيثما تكونوا تدرككم الجغرافيا حتى ولو لم تدركوها أنتم» ! وكل إنسان على الأرض له خبرة ومعرفة بالجغرافيا سواء أدرك هذا أم لم يدرك . فالجغرافيا علم بصرى ابتداء إن لم نقل أساسا ، والأعمى وحده للأسف هو الذى يقع خارج الجغرافيا ، لا يراها ولا يعرفها أى يدركها وإن هى أدركته طبعا وحتمًا . هذا يعيد تأكيد أهمية مدرسة اللاندسكيب فى الجغرافيا . إنها

ليست نافلة أو بدعة، بل ضرورة وجود.

●●●

ليس هناك إقليم واحد فى المنطقة؛ هناك أقاليم عديدة فى الإقليم الواحد نفسه، عدة أقاليم بعدد فصول السنة أو تغيرات الطقس الدورية.

●●●

ليس المطلوب فى الجغرافيا الآن اللوغاريتمات والمعادلات إلخ، ليس المطلوب العلمية بهذا المعنى الدقيق الصارم، إنما المطلوب «الجمالية» الجغرافيا الجميلة، الجغرافيا كعلم جميل وهذا «فن».

وهذا يتسق مع مطلبنا من إلغاء العمل الميدانى بمعناه الحالى، وتحويله قصره على الرؤية اللاندسكابية والفكر المكانى. . . . إلخ.

لماذا؟ لسببين قاتلين: أولا، استحالة وجود أى تربية الجغرافى الذى يجيد تماما كل الطرق والوسائل المعملية لكل العلوم الطبيعية والاجتماعية، كالإنثروبولوجيا والتشريح، والجيولوجيا وتحليل الصخور والتربة وقياس المناخ الحديث (كله فضائيات الآن!).

حتى التخصص فى فرع واحد كالجيولوجيا أو الاقتصاد يستدعى معرفة كاملة بكل تكنيك الجيولوجيا والعلوم الطبيعية، أي تكرر طالب الجيولوجيا أو كلية العلوم بالكامل فحتى هذا مستحيل، ولو فعلته لخرجت من الجغرافيا ولم تعد جغرافيا.

ثانيا ـ لو فرضنا جدلا الإحاطة الكاملة بتكنيك كل العلوم المعملية التى فى الدنيا، فماذا يجدى هذا الجغرافيا نفسها؟ لن نضيف إليها هى جديدا!

لهذا نعود فنؤكد أن حقيقة الحقائق وقانون الجغرافيا الذى يعلو كل حقيقة

وقانون هو أن الجغـرافيا هى الجغرفة ! عملية تحويل مـا ليس جغرافيا إلى ما هو جغرافى .

كل جغـرافيا أصـوليـة هى «تكثيف استراتيجى» للفهم الأول المـوازى أو المقابل : الجغرافيا التاريخية تكثيف استراتيجى للتاريخ .

الجغرافيا السياسية تكثيف استراتيجى للسياسة .

الجغرافيا الاجتماعية تكثيف استراتيجى لعلم الاجتماع .

وهكذا إلى آخره . ·

لماذا تكثيف ، ولماذا استراتيجى ؟

التكثيف ، لأنه يأخذ ذلك العلم الأول فيعتصره اعتصـارا ويختزله اختزالا ويكثفه إلى حد التضاغط الأقصى ، حتى لتصبح الجغرافيـا الأصولية بمثابة «ما قل ودل» من العلم الأول الذى أطال فأقل ! .

الاستـراتيجى ، لأن الجغـرافيـا تنتخب وتلتقـط فى تكثيفهـا كل مـا هـو جوهـرى وعميق وذال وفاعل فى العلم الأول ، الحـدود دون تواتـر والكليات دون الجزئيات ، والعموميـات دون التفاصيل ، اللب دون القشـر العمق دون السطح . . إلخ .

إن الجغرافيـا علم استراتيجى حيث العلوم الأوليـة علوم تكتيكية كمـا قد تقول .



تعريف الجغـرافيا هـو جوهر فلسفـة الجغرافيـا ، بغير التعـريف الجامع المـانع الـواضح القـاطع تستحيل الجغـرافيـا لمـاذا؟ لأنهـا علم انتقـائى ، انتخابى ، الحقائق والمعلومات التى تـدخله هى اختيار واستبعاد . فعلى أى

أساس نختار ونستبعد، إلا على أساس تعريف منهجي حاسم؟

لذا فإن فلسفة الجغرافيا هي أساس علم الجغرافيا. لا جغرافية بلا فلسفة المادة، فلسفة الجغرافيا.

لا جغرافي بغير فلسفة الجغرافيا.

ولا جغرافي ممتاز بغير الجغرافيا الفلسفية.

الجغرافي الكامل:

أنت إما جغرافي مؤبد، جغرافي مدى الحياة، من المهد إلى اللحد، وأما أنت لا جغرافي على الإطلاق، لا وسط بين الجغرافي المطلق، واللاجغرافي على الإطلاق.

فالجغرافيا لا تقبل شريكا قط، لا في العلم ولا في الحياة. أنت محكوم عليك بالجغرافيا إلى الأبد، وإلا خرجت من حوزة الجغرافيا.

بمعنى لن تكون شيئا مذكورا في الجغرافيا، إن لم تتفرغ لها تماما العمر كله. وليس في الجغرافيا شيء كفترة انقطاع تتركها إلى حرفة أو مهنة أخرى ثم تعود إليها، كلا، إنها نقطة اللا عودة، وليس هناك **Making a come backe**.

الجغرافيا علم استقراء بلا قياس. كل بقعة عليك أن تعرفها بالذات أو لن تعرفها قط لا مكان يمكن أن يكون بديلا عن مكان آخر ولا إقليم عن آخر - فمعرفتك بكاليفورنيا جدا لا تغنيك عن معرفة حوض البحر المتوسط، ولا هذا عن حوض النيل.

برودل : - **Geohistory / geohistoize - geo psychology** = نظرية الأفرقة والطوالع القومية إلخ.

geosociologye= الجغرافيا الاجتماعيـــة .

وتعريف الجغرافيا بأنها «علم» هـو تعريف ناقص ، «والجغرافيا العلمية» لا تجعل من الجغرافيا إلا «سندريللا العلوم» كما قيل . ما لم تكن الجغرافيا علما + فنا + فلسفة ، فإنها لا يمكن أن تضيف جديدا ولا أن تؤمن استقلالها وسيادتها العلمية .

والجغـرافى بهذا أيضـا هو «حـاوى العلـوم» ليس فقط بمعنى «خزنـة أو حـافظة» العلـوم جميعـا وعمومًـا ، ولكن أيضـا وبلا خجل بمعنى الحـاوى الساحـر أو الشاطر الذى يتـلاعب بالأوراق فيخرج منها مـا ليس فيها . وإذا كان فيتمان وغيره يدعون علنا إلى السـرقة (الشريفة) من العلوم الأخرى ، فإن الجغرافى بهـذا ليس فقط «اللص الشريف» ولكن أيضـا «الحاوى الشـاطر» والساحر الذكى . .

الجغرافى الكبيـر المفكر المخطط الموجـه ، لا ينبغى أن يتعالى على أو يـزدرى مدرس الجغـرافيـا البسيط ثانـوى أو أقل ــ لمـاذا؟ أولا لأنه تلميـذه أصـلا ، ثانيـا لأنـه وحـده هو الأداة التنفيـذيـة ، الجهـاز التنفيذى أى أداتـه التنفيذية المباشرة والمتاحة .

ومع تهمة الموسوعية ، سـواء صح أو لم يصح أن الجغرافى أغزر العلماء كتابـة ، فالحقيقة الأهم والأقطع هو أنـه أكثر العلماء قراءة . الجغـرافى أكبر قارئ فى الـدنيا . لمـاذا؟ لأنه لكى يكتب صفحـة يقرأ ١٠ صفحـات حتما وبالضرورة ؛ إنها قمة التكليف ، لأنها قمة التكثيف .

وحتى الخريطـة الجيولوجية ، ينبغى علـى الجغرافى أن يجغرفها تمـاما ، ولا يأخذها كما هى من صاحبها الجيولوجى ، لأنها تخدم أغراضه المختلفة قليلا أو كثيرا عن الجغرافى .

مثلا ـ خريطة مصر الجيولوجية ، التى نقلها الجميع عن بول خبط لزق .

●●●

لا يكون الجغرافى جغرافيًّا إلا إذا كان فيلسوفا ـ نظرية .

لا يكون الجغرافى جغرافيا إلا إذا كان حمار شغل ـ نظرية أخرى .

النظريتان ليستا متعارضتين ، بل متكاملتان .

بالمثل النظرتان : نظرة الطائر المحلق .

نظرة الدودة المحدقة .

التلسكوب + الميكروسكوب .

الماكرو + الميكرو . . إلخ .

●●●

لا علم بلا جامعة ! محال تماما أن يعمل عالم ممتاز بالعلم خارج جامعة (أو مؤسسة شبه جامعية كأكاديمية أو مركز بحوث إلخ) .

المهم، لا بد للعلم من جامعة ما .

ولكن ، للأسف ، بمجرد أن يدخل العلم الجامعة يتحول إلى وظيفة ، والعلم إلى موظف . أستاذ الجامعة ليس إلا موظف علم!

وبهذا يتحول العلم فجأة إلى تقليد وتقاليد ـ إلى علم تقليدى .

فالجغرافيا الجامعية الآن جغرافيا تقليدية صرف ، جامدة ، محنطة شكلية ، متخلفة ، «وشغل حمير» أساسا .

المثقف :

هو الإنسان الذى يتجاوز دائرة ذاته ، ليصل إلى المجتمع الأكبر كله ،

هو الإنسان القادر على أن يجعل مشاكل الآخرين هموما شخصية له . هو ضمير عصره سابق لعصره فى إدراك الخطر المستقبلى والحلم بالمستقبل ، هو برج مراقبة للعالم من حوله ، يرصد ، يحلل ، يتوقع يتنبأ ، يحذر ، يخطط ، لا يضيع فى التفاصيل وإن تابعها بكل تفصيل ، يحول الأشجار إلى نهاية ، والتكتيك إلى استراتيجية إنه مفكر استراتيجى كلى شمولى نبوى . . . إلخ .

حسنا ، إذا كان هذا هو تعريف المثقف الشائع والأكثر شيوعا وقبولا ، فإن لم يكن هو تعريف الجغرافى فماذا يكون ؟

إن المثقف الجغرافى هو سيد المثقفين .

وسواء كانت الثقافة هى الأصالة أو المعاصرة والثقافة الجغرافية والجغرافيا الثقافية تضم الاثنين جميعا . فهناك التراث الجغرافى العربى الهائل ولا سدنة ولا خدم ولا حارس أو دارس إلا الجغرافى ، ثم هناك جغرافية اليوم وجغرافية الساعة وهى قمة المعاصرة .

كلا ، ليست قضية الجغرافيا أن تكون أو لا تكون إنما هى أن تكون فاعلة أو لا تكون ، فاعلة أو خاملة ، مؤثرة هامة أو غير ذلك .

وليست الجغرافيا «كشكول» العلوم ، ولا الجغرافى «مسجل» العلوم ، ليست الجغرافيا «سجل علوم» ولا الجغرافى هو «مسجل عموم العلوم» ، ليس مسجل توثيقى أو موثق علوم أو أرشيفى بدرجة عالم أو أستاذ كرسى الأرشيف العلمى العام .

الجغرافى الحق الذى جاء ليبقى وخُلق ليخلق هو الذى يولد «حيوانا جغرافيا ، ويعيش «عبدا جغرافيا» ، ويموت «قتيل جغرافيا»! .

مأساة الجغرافيا فى الحياة : العمليون يرونها عبثا لا داعى له ، والنظريون

يرونها عالة عليهم بلا داع! يـالضيعة الجغرافيا بين الرجل العملى والأكاديمى النظرى !!

نعم، العـالم يصبح قريـة كبيـرة أو صغيرة ــ ولكن حـذار من هيستيريـا العالميـة (لعبة أمـريكا والغـرب ضد الآخـريين خصوصا نحن) ــ المهم فى الجغرافيا: لن يصبـح العالم؛ كذلك «إقليما» جغرافيـا واحدا! قط، ستظل الجغرافيا هـى الجغرافيا والعالم هو العـالم ـ وما عدا ذلـك فسفسطة وفلسفة مفلسة.

الوحدة الجغرافية تقول للعرب.

اعتصموا بحبل الجغرافيا جميعا ولا تفرقوا [كذا].

وظيفة أو وظـائف الجغرافيـا المفتوحة هـى ثلاث: التعليم، التخطيط، الثقافة.

الأول يبيع العلم وإعـادة تـوزيع وتوصيل، أى أنك تتعلـم الجغرافيـا من غيرك لتعلمها لغيرك ـ فلا جديد ـ وهذا هو السائد.

الجغرافيا علم اكتساب وتحصيل، وليس علم حدس أو تجريب. فأنت إن لـم تعـرف نهـر الكـولورادو فلـن تعرفـه بـالحـدس أى التهـويم وفى حين تستطيع أن تعـرف النفس المـريضـة أو الـزكية أو الفلسفـة من خبـرة الحيـاة والآخرين فحسب ـ تماما كما سيعرفها علم النفس ولكن بدقة أكثر فقط.

الميثودولوجيا [١] والمادة، لابـد منها فى كـل علـم. ولكن لا تصـــل الميثـودولــوجيـا إلى قمـــة أهميتهـا وقيمتهـــا فى أى علم كمـا تصـــل فى الجغـــرافيا.

---

(١) معربة وهى فى الإنجليزية Methodalgy أى المنهحية أو علم المنهج (الناشر)

بدون الميثودولوجي ، الجغرافيا تافهة ولا شيء وصاحبها تافه ولا شيء .

أخطر من الفكر الجغرافى ، الفعل الجغرافى! gog. et actin ميشيل فيليبوتو.

ومن تعاسة الجغرافى وقدر الجغرافيا أنها لا ترضى عن أحد من الاخصائيين ولكن أحدا منهم لا يرضى عنها بدورها! لا يعجبها أحد ، ولكنها لا تعجب أحدا!

ومن ضيعة الجغرافيا : الفلاسفة ينظرون إليها كعلم ، والعلماء ينظرون إليها كفن ، والفنانون ينظرون إليها كفلسفة !!

كل العلوم الاجتماعية ، وخاصة الجغرافيا (والتاريخ) ما لم تكن مطعّمة ، بل مشبعة ، بل حبلى ، بالفلسفة أى بالفكر ، فإنها تفقد الكثير جدا من قيمتها وجاذبيتها ، من جدواها ومن بريقها .



مفيد جدًّا أن يوجد دائما الجغرافى المحترف التقليدى ، المدرسى (الجامعى) بكل عيوبه وميزاته ، إلى جانب الجغرافى غير التقليدى ، الثورى ، المجدد ، الهادم ، هذا مصل مضاد لذاك ، والعكس . المطلوب دائما ثورة جغرافية ، وهذا يعني توا ثورة على الجغرافيا وفى الجغرافيا من أجل «جغرافيا ثورية» .

ويبدو أن من الممكن نظريا وواقعا أن الجغرافيا التاريخ والدراسات التاريخية تتقابل عند نقطة معنية يتوحدون فيها فى دائرة واحدة .

أليس مما له مغزاه ، وأحيانا يدعو إلى السخرية أن بعض أعمال الجغرافيين البشرية الإقليمية تتهم بأنها تاريخ ، بينما أن بعض أعمال المؤرخين توصف أو توصم بأنها جغرافيا وجغرافيَّة (مثل بروديل)؟! .

أليس هذا دليلا على تداخل وتلاقى العلمين عند نقطة معينة . الواحد

يبدأ علم مكان ثم يتوغل فى الزمان ويتغلغل، والآخر يبدأ علم زمان ثم يخوض فى المكان وينغرس، حتى يصبح الاثنان وجها لوجه على أرض واحدة فى لحظة ما؟

فعلا، المكان هو العنصر الأساسى الوحيد الذى يجمع الأشياء والظاهرات المختلفة جدا ويؤلف بينها وقد يوحدها. المكان، يعنى الجغرافيا.



كما يميزون فى دراسة الفلسفة بين فرعين تاريخ الفلسفة، والنظريات الفلسفية، رغم التداخل الأساسى الأصلى بينهما، فكذلك فى الجغرافيا: هناك فرق ويجب أن تكون هناك تفرقة واضحة منهجيا بين تاريخ الجغرافيا، وبين قضايا ومشاكل ونظريات الفكر الجغرافى والمنهج الجغرافى.

قد يعرف الجغرافيون ما يفعلون، ما هم فاعلون، (وإن لم يكن كلهم بالتأكيد ـ للأسف الشديد!) ولكن اللافت أن كثيرا من غير الجغرافيين من العلماء المختصين فى فروع العلوم الاجتماعية وحتى الطبيعية كثيرا ما يتساءلون فى صمت وفى قرارة أنفسهم عما يفعل بالضبط هؤلاء الجغرافيون! هم يرونهم على أفضل الأحوال مخلوقات علمية غريبة مثيرة للشك والريبة أكبر منها للاهتمام والأخذ بجدية.

هذا أمر معروف ووضع لا يجوز إنكاره أو تجاهله. وعلى الجغرافيا أن تعترف به وبمشروعيته، ثم عليها بالمقابل أن تتصدى له بالشرح والإقناع وإثبات الذات.

وربما لم تضف الجغرافيا إلى المعرفة الإنسانية حرفا واحدا جديدا تماما

من عندها ، ولكنها مع ذلك تقدم أفضل وخير وعاء وشكل لتقديم المعرفة الإنسانية للشخص العادى والمواطن العالمى ليس هناك غيرها ولا أفضل منها وعاء لتقديم خلاصة وجماع ما توصلت إليه سائر العلوم من طبيعية واجتماعية للمتعلم العادى والمثقف العام. مثلا لن يصبح كل متعلم فى الدنيا متخصصا فى النبات أو الحيوان ، فإذا لم يعرف شيئا عن الغابة الصنوبرية أو غابة المطر أو الاستبس أو الكنجارو أو الرنة . . إلخ فى دراسته الجامعية تحت بند الجغرافيا ، فأين ومتى سيعرفها؟ قط لن يعرفها ، أى لن يعرف العالم ولا أى شىء عنه .

وعلى هذا فقس مع الجيولوجيا ، مع الاقتصاد ، مع السياسة ، الاجتماع ، التاريخ . . . إلخ .

إذن ، الجغرافيا هى خير موصل جيد للمعرفة الإنسانية ، أجود موصل ، بل الأوحد ، وهذا فضل ، لو تعلمون ، عظيم .

ولكن هل هذا هو كل فضل الجغرافيا ؟

كلا بيقين ، فهى خير موصل جيد للمعرفة الإنسانية كحد أدنى ، أى عند حدها الأدنى .

أما عند حدها الأعلى ، فالجغرافيا مُوَصِّل جيد للمعرفة الإنسانية ، ولكن بمعنى خاص وهذه قصة أخرى .

ما الدنيا إلا مسرح جغرافى كبير !!

على سالم المؤلف المسرحى يقول (!) :

«ثبت أن الجغرافيا أقوى من التاريخ ، وهى التى صنعت الماضى وستتحكم فى المستقبل» . ولا تعليق !

النزاعات الأكاديمية والغيرة المهنية من المؤرخين والجغرافيين موجودة دائما (خاصة فى فرنسا لأن العلمين كانا يدرسان معا دائما) . وبعض

المؤرخين لا يخفى ازدراءه العلنى للجغرافيا. لايهم. المهم الآتى :

الجغرافيا أقوى من التاريخ ـ لا شك .

لماذا؟ لأن الجغرافيا تحكم وتصنع التاريخ .

ولكن التاريخ لا يحكم الجغرافيا ولا يصنعها !

وكعلم ربط بين العلوم، الجغرافيا فعلا علم مفصلى ليس فقط بموقعها وسط العلوم الطبيعية والاجتماعية، ولكن أيضا بربطها بين الظاهرات المختلفة فى المكان أفقيا «الإقليم» ورأسيا «الايكولوجي» مفصلى أفقيا ورأسيا .

مشكلة الجغرافيا هى مشكلة إنسانيتها . . هل هى «إنسانية» هل هى ممكنة إنسانيا .

Humanly Plysicaly .

والجغرافيون بالضرورة تلاميذ كل المتخصصين الآخرين ابتداء من الجيولوجيا حتى التاريخ. ولكن ماذا بعد هذه التلمذة أليست إلا «الأستذة» فبعد أن يأخذ الجغرافى عنهم، يصبح فى النهاية قائدا وأستاذًا لهم .

الأدق والأصح، مع ذلك أن يقال: لا يبدأ الجغرافى وهو بالضبط تلميذ للإخصائى، كما لا ينتهى وهو أستاذ له تمام. وضع خاص فى الحالتين .

لا ثقافة بلا جغرافيا .
لا سياسة بلا جغرافيا .
لا تاريخ بلا جغرافيا .
لا عمران بلا جغرافيا .
لا اقتصاد بلا جغرافيا .

«الجغرافيا والحياة»
جغرافية الحياة
الجغرافية الحيَّة .

●●●

حتمية الجغرافيا: علم لا بد منه هذا هو الجغرافيا مهما حاولت، فلن

تفلت من الجغرافيا ، ولن تبيد الجغرافيا . إنها ضرورة علم حتمية بحتة .

هـذه الحتميـة الجغرافيـة هى طبعـا غيـر الحتم الجغرافى المعهـود إيـاه (والمفترى عليه نسبيا أو نوعا ما)؟ فهى حتمية حميدة .

هل الجغرافيا كشكول العلوم (كشكـول الجغرافيا)، بستان العلوم (بستان الجغرافيا!).

الجغرافيا فى عالم متغير :

هذه إحدى أهم مشكـلات الجغرافيا المعاصرة وعليهـا أن تتصدى لها ، وتحلهـا لكى تعيش «الجغـرافيـا أو المـوت» أم المـوت للجغـرافيـا «تسقط الجغرافيا!» ـ «عاشت الجغرافيا» !



إن الجغرافيـا حائرة تـدور حول نفسهـا ، تبحث عن دور جديـد أو قديم محدد، عن مكـان لها تحت الشمس ، شمس العلم والعالـم الجـديد، عن توجه وتوجيه جديد مفيد .

واتجاه الجغـرافيا إلى الثقافة العـامة مطلب حيوى، مسألة حيـاة أو موت ولكن هذا وإن كـان يعنى تبسيط العلم والعلـوم، والشعبية **Vulgarisation** فإن الأمر ليس بهذه البساطة أو السهولة .

التبسيط لا يعنى التسطيح فضلا عن التفاهة .

التبسيط ليس سهلا، ولكنه ليس بهذه السهولة أو البساطة .

ولكن الخطر الأكبـر الذى يهدد التوجـه الثقافى للجغرافيـا هو أن تسقط أداة ولوبى للسلطة والحكم كالصحافة ـــ النزاهة العلمية والاستقلال الفكرى شـرط الثقـافـة الجغــرافيـة مثلهـا هى شـرط العلم الجغــرافى والجغـرافيـا الأكاديمية .

الجغرافيا أساسا = عملية + توزيع

distribuation + process .

شيء غريب فعلا وحقا. موقع الجغرافيا بين العلوم يكاد يشبه موقع مصر بين البلاد!

فهي علم مفصلي يتوسط العلوم، كما أن مصر موقع مركزي مفصلي وسط العالم الجغرافيا تأخذ من كل العلوم فتصطنع منها عصيرا وكائنا خاصا ولهذا السبب، وبصرف النظر عن التطور التاريخي، كانت الجغرافيا تالية ولاحقة للعلوم كعلم، سابقة لها كتعليم بمعنى أن الجغرافيا تبدأ كعلم بعد وجود العلوم الأولية الأخرى، وبعد أن تتم وتوجد، تصبح هي المدخل الطبيعي للتعليم، ثم تليها العلوم الأولية.

هل الجغرافي الجيد هو الملك ميداس أم نصف إله؟ هل الجغرافيا والجغرافي هي «نمل العلوم» أم «نحل العلوم»؟ هذا يسرق وينقل الطعام ويستهلكه خلسة من تحت أقدام الناس، وهذا يعمل بنشاط مذهل متحركا آلاف المسافات ليجمع الرحيق ويقدمه للإنسان؟

هل هو وهي ـ هما ـ «دودة قطن» أم «دودة قز»؟ هذا مدمر وهذا معمِّر؟

ولماذا؟ حتى المؤرخون أصبح بعضهم ينظر إلينا باستخفاف واستغراب وتأفف! حتى أنت يا بروتس!

حسنا، قد لا يليق أن نقول إن الجغرافيا تقف على كتفي العلوم الأخرى، لأنها في النهاية تعيش عليها وتأخذ منها، لكن بالمقابل لا يصح أن يقال إن الجغرافيا تقع تحت أقدام العلوم الأخرى.

إنها ليست سيدة العلوم (بالتأكيد) لكنها ليست خادمتها كذلك، ولا سندريلا ما أكثر. فما هي وما موقعها بالضبط؟ فكرٍّ!

●●●

لاحظ أن الصدفة التاريخية هي المقابل والنقيض للحتمية التاريخية.

بالمثل الحتم الجغرافى × الصدفة الجغرافية .

لا يتحول التاريخ إلى علم إلا بتخصيبه بالجغـرافيا وبغير ذلك يظل كائنا عقيما .

المدارس الجغرافيـة :

هى شبه حقيقية ، شبه تاريخية ، شبه جغرافية .

السؤال المحير والمحرج ولكن المحقق أو المحك فى الجغرافيا هو: هل هذا جغرافيا؟ هل هذه جغرافيا؟ هل هذا جغرافى ؟

السؤال مشـروع ووارد دائما . والجواب الصح هـو هل هذا إقليمى أم لا؟ إن كان إقليميا ، فهو جغرافيا ، وإلا فلا .

والإقليم مركب لا عنصر .

هناك الإقليم الـذى يعتمد على أرض وأمـد محدد كـالتربـة أو المناخ أو السكـان . . إلخ هـذا الإقليم إقليـم عنصـر، أو إقليمى أصـول، نسبـة إلى الجغرافيا الأصولية .

وهنـاك الإقليم الشـامل بـالمعنى الكـامل أى الـذى يضم كل عنـاصـر الجغـرافيـا الأصـوليـة . هـذا هـو الإقليم الجغـرافى الحق ، لنقل «الإقليم الإقليمى» (على وزن النواة النووية ـ للتأكيد) أو الإقليم الجغرافى .

أو يمكن إن يميز بين الاثنين فتقول الإقليم التحليلى **analytical** والإقليم التركيبى**synthetic** والجغرافيا أساسا علم تركيبى أو تخليقى **Synthis** .

المدارس الجغرافية إذن مدارس وطنية أو قومية وهى بهذا أقرت شيء إلى فكرة «الطـوابع القومية» التى هى نسبيـة جدا جزئيـة أساسًا ، وربمـا سطحية نوعًا .

إننا لا نرفض فكرة «المدارس» كليةومن حيث المبدأ، ولكن نقبلها بتحفظات شديدة وتحديد صارمة كشىء أكثر من لا شىء ولكن ليس هو كل شىء.

«الجغرافى الكامل» بمعنى الشامل الذى يتخصص ويتبحر فى كل مجالات الجغرافيا وفروعها ودوائرها هو فكرة تجريدية بل خزائنه تماما. استحالة مطلقة. هناك تعم، الجغرافيا الكاملة لكن ليس هناك الجغرافى الكامل «الجغرافيا الكاملة» هى مجموع عشرات أو مئات من «الجغرافيين الجزئيين».

سواء لحسن الحظ أو لسوئه الفكر الجغرافى كان دائما وفى كل مراحله مرتبطا بمراحل الفكر العلمى الفلسفى والحياتى العام ومتأثرا به ــ أيام التطورية تأثر بها، مثلا راتزل والدولة وأيام البيئة والايكولوجيا تأثر وكان الحكم الجغرافى أيام الماركسية تأثر وكان التخطيط والإقليمية والآن البيئة والتلوث إلخ.

لا جديد، بالضبط تحت شمس الجغرافيا كل القضايا الرئيسية والمشكلات والأساسية والمحاور المحورية والأعمدة الفقرية والمجالات العريضة كل هذا له جذور وأصول قديمة بالغة القدم فى الجغرافيا، وعولجت ونوقشت منذ وقت مبكر جدًّا فى بداية العلم ثم تكررت فى كل مراحله، لكنها بالطبع تتطور وتتجدد، عمقا وعرضا واتساعا وأصالة وإضافة كالمد والجزر، كالتهبيط والترقيع، كالتسريع والإبطاء، كالبندول وحركته المستمرة المزمنة. إذن جنين وجرثومة الجغرافيا كلها قديمة، مراحل جنينية وجراثيم يعنى.

مسألة وجود «مدارس» فى الجغرافيا، نقطة خطيرة جدًّا تستحق التعمق

الجغـرافيا علم أسـاسى لا فن أو قبل أن تكون فنـا . موضـوعية لا شخصيـة بالطبع معنى المدارس اتجاهات خاصـة واهتمامات معينة وتكوين أو تلوين فكرى متميز.

ولكن من ناحيـة أخرى ، كل الاهتمامـات الأساسية والخطوط العـريضة مشتركة بين جميع «المدارس» بالضرورة . والمسألة فروق فردية فى الدرجة لا فى النوع ، فى التركيز لا فى التخصيص .

معقول أن تـوجد بين جغرافيى البلـد الواحـد ، بسبب وحدة اللغة ولتـركز القراءة فى إنتـاجها ، قاسم مشتـرك ما (أصغـر) بين أفرادها ، يخلق نـوعا من الجو المشترك أو الطقس أو المناخ الاهتمامى والمعلوماتى . . . إلخ .

ولكن دون أن يفصلهم ذلك عن العالـم الخارجى «والمدارس» الأخرى .



الجغرافى أحد اثنين : إما فيلسوف جغرافيا ، و إما حمار جغرافيا .

بالمثل المؤرخ ، إما فيلسوف تاريخ أو حمار تاريخ .

فعلا ، فالجغرافيا فى جوهرها هى «فكر فى المكان» .

المعلومة والفكرة (أو الحقيقـة والرأى) هما قطبا المادة العلمية ـــ خاصة فى الجغرافيـا من المعلومة نستشـرف ونستنبط فكرة جديـدة لا تلبث بعد أن تستقر أن يصبح بـدورها معلومـة جديدة . بهـذا يتم تراكم المـادة ، وتتناسل المعلومات والأفكار على التعاقب والتبادل .



يجب على الجغرافى أن يضع نفسـه داخل وخارج الإقليم فى آن واحد : داخله لكى يستنبطـه و يسبر أعماقـه ودخائله ، وخـارجه لكى يراه رؤيـة كلية

شاملة وكذلك نظرة موضوعية بحتة مجردة .

●●●

للأسف كثير من الجغرافيا الجامعية هى مجرد «جغرافية أطفال» فحذار من جغرافية الأطفال؟ .

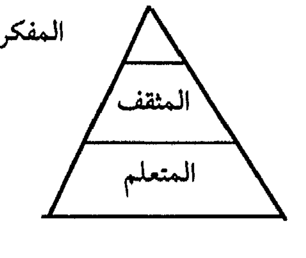
●●●

الفكر فى المكان ـ فى القصص والتطبيق يصبح «الفكر فى الطبيعة وعلى الطبيعة» فى المكتب والمكتبة يصبح هو «الفكر فى الخريطة وعلى الخريطة» .

من هو المفكر، وما الفكر؟ كثيرون يوصفون أو يعدون من المفكرين، وهم ليسوا كذلك فى الحقيقة، ولا حتى أنصاف مفكرين .

المفكرون الحقيقيون قلة وكل مفكر مثقف، ولكن ليس كل مثقف مفكرًا، تماما كما أن كل مثقف متعلم ولكن ليس كل متعلم مثقفا .

الواقع أن هناك هرما من ثلاث طبقات :



القاعدة العريضة جدا : المتعلمون .

الطبقة الوسطى القليلة : المثقفون .

القمة العليا الضيقة جدا : المفكرون .

فما هو المفكر ومن هم المفكرون ؟

الفكر مركب من ٣ عناصر :

العلم ـ الفلسفة ـ الفن وكل عنصرين منها وحدهما لا يصنعان مفكرا ولا فكرا .

المعادلة هى: الفكر = العلم × الفلسفة × الفن (بالضرب لا بالجمع ،

كناية عن التفاعل العضوى الخلاق بين أطراف الثلاثية) .

وهذا بالضبط هو الفكر الجغرافى فالجغرافيا فكر أولا وأخيرا. والفكر الجغرافى، كالفكر عموما ولكن أشد وأكثر، هو تفاعل العلم بالفلسفة بالفن.

ومن هنا يأتى التجديد العلمى والإضافة.

والأفكار فى الجغرافيا هى الإطار الوحيد والضرورى لصب وترتيب المعلومات وهذا هو الحل الوحيد الحقيقى لمشكلة الجغرافيا الرهيبة، وهى طوفان الحقائق والمعلومات اللانهائى القاتل مع قلة الأفكار والأنماط الكبرى الرئيسية التى نرصها وننضدها فيها. وبغير هذا تصبح الجغرافيا علمًا رهيب الحجم، فاقد الهدف ـ غير هادف. الأفكار هى موجه ومجدد هدف الجغرافيا ـ البوصلة الجغرافية الأفكار بوصلة الجغرافيا والمعلومات جسمها وسفينتها . الأفكار قاطرة الجغرافيا، والمعلومات قطارها أو مقطورتها! .



التكنولوجيا والعلم المعقد جدا تغزو الجغرافيا كسائر العلوم. وستجعلها أكثر من أى وقت مضى علما مستحيلا، أما عمل الغيط فسيصبح فى استحالة رؤية الوجه الآخر من القمر.

ولقد أتت ساعة الحقيقة على الجغرافيا بكل شجاعة وأمانة أنه تلقى بخرافة أو مسخ العمل الميدانى فى البحر ووراء ظهرها وإلى الأبد إنه خداع للناس ولكن الآن فى عصر التكنولوجيا والكمبيوتر والليزر والأقمار الصناعية وخرائط الفضاء. . أصبح خداعا قاتلا للنفس.

إنها الجغرافيا لا تنتحر برصاصة العمل الميدانى الفاسدة (المغشوشة)!



صفـات مختلفـة للجغـرافيا : العلم المستحيـل ـ المجنـون ـــ القـاتل ـ القاصم .

بهـذا الحجم الرهيب والمجـال المخيف ، لا يمكن إلا أن يكـون نصف الجغرافيا على الأقل أخطاء فاحشة ومروعة !

ـ يموت الجغرافى الجيد وفى نفسه شىء منها .

ـ يعيش الجغرافى الرديئ وليس فى نفسه شىء منها !



ولأن الجغرافيـا تقف على أكتاف العلوم الأولية كلهـا ، على كتفى العلوم الطبيعية من نـاحية والعلوم الاجتماعيـة من الناحية الأخـرى ، فإنها يمكن أن تكون أكثـر منها قـامة وأن تتفـوق عليها أكاديميًّـا وفكريـا ونظريـا والواقع أن الجغرافيا ، كمـا تمثل وحدة الدنيا والعالـم كأرض ، تمثل أيضا وتمـاما وحدة المعرفـة الإنسانية والعلم كلـه . هى وحدها وحـدة العلـم والمعرفة ـــ وكل ما عداها اجتزاء جزئى وفصوص . الجغرافيا يمكن أن تكون قمة العلوم جميعا ، قمة المعرفة الإنسانية جمعاء .

هنـاك مشكلـة أصبح من الضروى حسمهـا ، بعيـدا عن الجغـرافيين من «البـاب الخلفى أو الجانبى» أى الـذين بـدأوا علماء متخصصين فى علـوم معينة ، ثم تحولوا منها إلى الجغرافيا بصورة «رسمية» أى احترفوا الجغرافيا من أول وجديد ، فأصبحوا جغـرافيين محترفين (محترمين) بكل معنى الكلمة . . وطبعا لا يمكن أن يسموا بعد ذلك جغرافيين «هواة» .

هناك ناس يكتبون جغرافيا دون أن يقصدوا أو يدروا ويدركوا ، على هامش كتابـاتهم وتخصصاتهم أو فى تضـاعيفها . إنهم ليسوا «هـواة جغرافيين» لأن الهاوى عـاقد قاصد وهم ليسـوا عاقدين قاصـدين فى نفس الوقت لا يمكن

نفيهم تماما من الحـوزة الجغرافية ، ولا ضمهم إليها طبعـا . إنهم «جغرافيون وما هم بجغرافيين» .

●●●

ما ومن الأسبق : الجغرافى أم الكارتوجرافى؟

أولا، وبلا جدال ، الجغرافيا شيء مختلف تماما عن الكارتوجرافيا ، رغم العلاقة الحميمة جدا والخاصة جدا .

فى البدء تأتـى الخريطة لكن من الـذى صنع الخريطـة؟ الكارتـوجرافى يقينا . ثم يأتى الجغرافى بعـد ذلك ليجد الخريطة جاهزة ويقـرأها أو يملأها بتوزيعاته وظـاهراته وقد ينتج فى هذه العمل خرائط جـديدة من صنعه وصنع يده وعلمه فهل يعد بذلك كارتوجرافيًّا ؟

الرد قاطع : المعنى أن هناك نوعين من الخرائط : الخرائط الهيكلية ، التى تنقل صورة الطبيعة والأرض إلى الورق ، وترفع المكـان ، هى خرائط قاعدية ، خرائط الأساس ، **Outlene maps maps basic, base maps** يصنعها الكارتوجرافى بكرًا ولأول مرة بالـرفع والمساحة من الطبيعة قبله لا وجود لها ، ولا قبل للجغرافى بهـا مهما حاول وهـى أكيدا ليست عمله أو اختصـاصه أو فى قدراته .

الخرائط التوزيعية : هذه هى شغل الجغرافى بعـد أن يوفر الكارتوجرافى الخـرائط الهيكليـة السـابقـة ، يبـدأ الجغرافى يـوزع عليهـا ويمـلأ فـراغهـا بـالظاهـرات الجغرافيـة المرادة ، سكـان ، مدن ، كثـافات ، تيـارات هوائيـة كارتـوجرامـات . . إلخ ولكن هذه ليست خرائط إنشـائية بـالمعنى البكر، أو إنشائية من الدرجة الثانية أو ثانوية **Secondary maps**.

بحكم طبيعتها الشمولية وحدودها الـرهيبة (أو اللاحدود!) فإن التفاصيل

فى الجغرافيا تأخذ مكانا ومكانة وقيمة أقل بكثير مما لها فى العلوم الأولية لماذا؟ أولا للاستحالة المطلقة فى الإلمام بملايين التفاصيل من كل علم : ثانيا ، لأنها بهذا الحجم والاتساع يستحيل الإفادة منها جيدا والتعامل معها بفائدة وجدوى ثالثا ، خشية أن يفقد الجغرافى نفسه فيها وتضييع الجغرافيا فى تيهها .

رابعا وأخيرا ، لأن الجغرافيا تطبيقا علم استراتيجى علم الكليات ، التفاصيل الدقيقة مجرد جسر بالنسبة إليها تصل منها إلى أهدافها الكلية والتعميمات الإقليمية والكوكبية إلخ . . . . .

التفاصيل إذن هى مجرد وسيلة لا غاية فى الجغرافيا وجسر لا هدف .

الجغرافيا لا تكرر العلوم الأولية من أول وجديد كما هى نقلا وسطوا ، وإنما «تكرِّر» هذه العلوم بمعنى تنقيها وتعالجها . . إلخ إنه «تكرير» لا تكرار.

الجغرافيا لا تعيد العلوم الأولية فى طبعة أو نسخة جديدة ، وإنما هى «تعيد إنتاجها وخلقها تخرج منها جديدا ، ليست إعادة طبع **reprinting** ولكن إعادة تحرير **reediting** .

إذن الجديد الذى تطرحه الجغرافيا وتضيفه إلى وعلى العلوم الأولية هو «الحبكة العلمية» ، الوصفة ، الخلطة ، التركيبة ـ وذلك هو الجديد وتلك هى الإضافة .

●●●

الجيوفيزياء = باطن الأرض .

الجيولوجيا = قشرة الأرض [٦ ـ ٣٠ كم] .

الجغرافيا = سطح الأرض (**la face de la terre** = وجه الأرض حرفيا) .

كلمة الجغرافيا فى هذا التصنيف تعنى وتساوى الجيومورفولوجيا .

كلمة الجغرافيا الطبيعية كسابق قديم للجيومورفولوجيا كانت خطأ، وكان صوابا إسقاطها لأنها تعنى، وينبغى أن تخصص فقط، للنصف الطبيعى من علم الجغرافيا جميعا كمقابل للجغرافيا البشرية .

وهذا هو الوضع الآن، وهو سليم تمامًا .

بتشبيه جسم الإنسان ، فإن :

الجغرافيا = البشرة القشرة الخارجة .

الجيولوجيا = الأدمة أو القشرة الداخلية .

الجيوفيزيا = باطن الجسم (؟) .

ما مكان كلمة فيزيوغـرافيا فى هذا الهيكل هل هى مجرد تركيب مزجى أو دمغ **entraction** لكلمتى «جغرافيا طبيعية» .

ولكنها فى هذه الحالة لا يمكن أن تـرادف فى الجغرافيا الطبيعية المعنى السليم الحالى وهو مرادف الجغرافيا البشرية .

إذن لا يبقى إلا أنها تـرادف الجيومورفـولوجيـا بالمفهوم الحـالى السائد . ولكنها انقرضت نسبيا وأزاحتها كلمة جيومورفولوجية تمامًا أو تقريبًا .

●●●

الخريطـة تقرأ إلى مـا لا نهاية، تقـرأ عشرات المـرات، وكل مرة تكشف جـديدا فيهـا مهما نظـر الجغرافى فى الخـريطة وأمعن النظـر وأطالـه، فلن يستنفـد كل ما فيهـا . كل نظـرة = معلومـة أو نظـريـة جديـدة حيث الأولى الهيكلية خريطة أولية **primiary** الثانيـة تبدأ من وتـؤسس على أساس الأول والجغرافى يبدأ حيث انتهى الكارتوجرافى (لا العكس طبعا) .

وهنا، كمـا فى مجالات وفروع الجغرافيـا، ورغـم العلاقة الحتميـة الأزلية بين الجغرافيا والكارتوجرافيـا، فإن الجغرافي يأخذ من الغير ليبنى جغرافيتيه حتى الخريطة مستعارة، سلفة مؤقتـة من الكارتوجرافى والجغرافي ناقل حتى على مستوى الخريطة نفسها.

الخرائط الهيكلية إذن هى سابقة للجغرافيا والجغرافى **pre - geograply** .

والخرائط التوزيعية هي تالية ولاحقة لها **Post - cartographic** .

لهذا تبدو الجغرافيـا بالنسبة إلى العلوم الأولية كالشعـر بالنسبة للنثر. . . فى درجة التكثيف، فى الجماليات، حتى فى القيمة (فرغم أن الشعر أجمل من النثر عادة، فإن النثر أهم فى الحياة جدا!) .

الجغرافيا شعر العلم :

الجغرافيا هى شعر العلم الذى نثره العلوم الأولية.

العلم نثر شعره الجغرافيا .

العلوم الأولية نثر شعره الجغرافيا .

الجغرافيا، ذلك العلم المستحيل.

والجغرافى، هذا العالم المجنون !

هل هى محض صدفة أن عبء الجغرافى وهو الأطلس الذى يحمل على كتفيه بل داخل رأسه، يستمد اسمه مـن أطلس آله الجبال الذى يحمل الكرة الأرضية على كتفيه ؟ .

على الجغرافى أن يطيل النظـر فى الخريطة، يدقق النظـر، يعاود النظر، يـديم النظر فـالخريطـة لاتمنح أسرارهـا ومكونـاتها من أول نظـرة، بل لمن يعايشها ويعشقها ويراجعها .

الكمـال العلمى ، أى الكمال فى العلم مستحيل ، ولكنـه فى الجغرافيـا بـالذات أشـد مـا يكون استحـالـه الكمال الجغـرافى لله وحـده ـ الجغـرافى الأعظم!

للآخرين ، يبـدو الجغرافى ضيفا غريبا من البشر، وفى ذاتـه ، يبدو فعلا أنه كذلك !



هندسة المكان Geo - engineering هى الجغرافيا التطبيقيـة والهندسة الإقليمية **regional engineering** والجغرافيا الهندسية .

الجغـرافيـا هى علم المكـان ، كما أن التـاريخ علم الـزمـان البعض من المؤرخين يعرف علمه بأنه علم الزمان وليس علم الماضى بالمثل الجغرافيا : ليست علم الأرض بقدر ما هى علم المكان والفارق مفهوم .

الجغرافيا هى كل شيء ولا شيء! هذه نقطة الضعف الكبرى فيها ـ والقوة أيضا !

إذا لم تكن الجغـرافيا فـوق الجميع ، فإنها حـول الجميع ، وإذا لم تكن حـول الجميع ، فإنهـا تحت الجميع وفى جميع الحـالات فأينمـا تكـونـوا تدرككم الجغرافيا !

والجغرافيا ككل علم تتألف من عنصرين :

التحصيل + التفكير .

التحصيل + التأصيل .

ليس هناك جغرافيا جيدة وجغرافيا رديئة ؛ ثمة فقط جغرافى جيد وجغرافى رديئ .

عمليـة الجغرافيـة هى أساسًـا عمليـة هندسـة ، عملية شكل هنـدسى ، وتشكيل هنـدسى للمـادة الخـام هى «قـص ولصق» إلى حـد بعيـد ، ولكن عملية ألغاز صينية أكثر منها حرفنة (حرفية) + ذكاء علمى .

وحتى الآن ، دراستنا لجغرافية مصر لا تزيد على مجرد خدش سطحى .

لا جغرافية حياة بدون جغرافية ميدان .

الجغرافيا الفكرية هى وحدها الجغرافيا الخلاقة **Creative Geog** .

المطلوب هـو جغرافيـا فكرية ، بعـد الفكر الجغـرافى جغرافيـة الفكر، الجغرافيا المفكرة «الجغرافيا الفكرية**Thoughtful Geog** » .

●●●

السياحـة استثمار فى البيئـة الجغرافيـة كما أن النقل استثمار فـى الموقع الجغرافى .

●●●

الجغرافيا كمادة خام فقط ثقيلة باردة ، سامة ، كالرصاص ! .

فقط حين يسلط عليهـا شعاع الفكر (الفكـر هو شعـاع الليزر فى خـامة رصاص الجغرافيا) تتحول إلى مادة شفافة مشعة صحية .

«المخيلة العلمية» هى أساس كل ابتكـار وتجديد وخلق فى العلم . هى مفجر الطاقة العقلية والإبداع العلمى (العلم إبداع) .

وطبعاً ، هى شىء غير «الخيال العلمى» وقصصه . فهذا علـم ، وهذا فن .

●●●

إذا كان أبرز (وأروع) ما فى الكرة الأرضية أنها بتنوعها الشديد جدا فى كل شىء النـاس ، المناخ ، النبات ، البيئـات إلخ فإن أهميـة هذا التنـوع ووعاءه الأساسى هو التنوع الإقليمى ، أى تنوع الأقاليم ، أو تعدد الأقاليم ببساطة إن

تعدد الأقاليم على وجه الأرض، وانقسام سطح الأرض إلى عديد من الإقاليم هو أكبر نعمة على الأرض وعلى الإنسان، ولولاها لكان عالما مملا منفرًا إلى حد السخف وفقيرًا إلى حد مدقع.

إن فى اختلاف أقاليمكم، كما فى اختلاف ألوانكم وألسنتكم إلخ، كما في معنى الآية بل إن اختلاف ألوانكم وألسنتكم إنما مرجعه وأصله وجماعه اختلاف أقاليمكم.

●●●

أقاليمى التى قدمتها فى النظائر الجغرافية بين أوربا وآسيا [1] ليست أقاليم جوفاء ولا صماء. إنها أقاليم هيكلية لا تركيبية، بمعنى أنها أقاليم تناظرية **Ararallelism regions**، شكلية أكثر منها موضوع، هندسية أكثر منها جغرافية.

ولكن لأنها أقاليم هندسية **Geometrie regions** فإنها أكثر الأقاليم الجغرافية جغرافية.

تنصب على الهيكل أكثر مما تصب فى محتواه ومضمونه.

●●●

فكرة أوراسيا تحتاج إلى تعديل. هى تعبير جغرافى يساوى أوربا + آسيا، وذلك باعتبار أن الأولى امتداد أرض واستمرار جيوديزى للثانية.

هناك أيضا التناظر الجغرافى بين النظائر الجغرافية فى كليتهما.

ولكن:

---

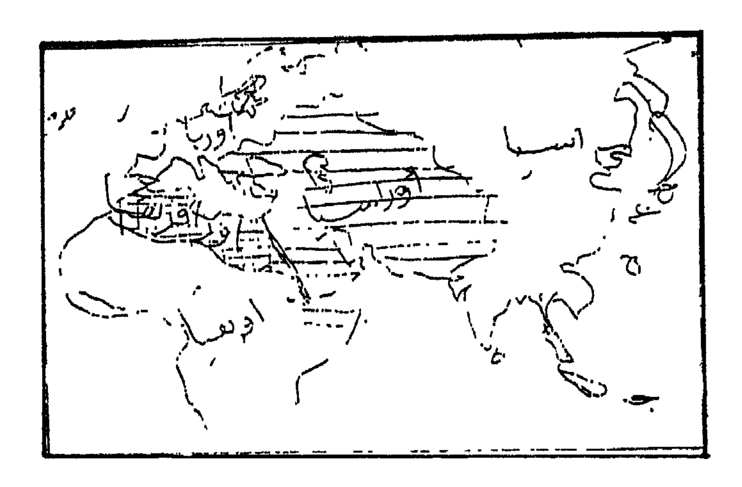
(١) انظر جمال حمدان بين أوروبا وآسيا، دراسة فى النظائر الجغرافية، القاهرة ١٩٧٢ (الناشر).

قد يكـون الأصح أن نقصر مفهوم أوراسيا علـى جانب الجغرافيا البشـرية دون الطبيعية هنا يصبح المفهوم وظيفيا وعضويا حقا .

وهنا تصبح المنطقة من شرق أوربا وغرب آسيا فقط هى أوراسيا الجديدة أو أوراسيا الصغرى ، أو أوراسيا الفعالة ، أو أوراسيا البشرية .

كيف؟ أساسـا لأن السكان هنـا انتقاليون بيـن الجنس الأبيض والأصفر، ليسوا أوربيين ١٠٠٪ ولا آسيويين ١٠٠٪ .

والواقع أن هذه قـارة جنسية حقيقية فى قلب العالم القـديم ـ بل أن فكرة القارات الثلاث فى العالم القديم إن هى إلا فكرة جيوديزية [١] بحتة لا تعنى من ثم كثيرا من الناحية الفعالـة يمكن إعادة تقسيم قارات العالم القديم على النحـو الآتى :



(١) كلمـة معـربة وهى فى الإنجليـزيـة "geodesy" ، أى علم هيئـة الأرض ومساحتها . (الناشر)

أوراسيا ــ منطقة اجتماع أوربا وآسيا من سهول آسيا الوسط والتركستان حتى البلقان والمجر، هى ثانى بوتقة جغرافية تاريخية، ولكنها من جنسين اثنين فقط هما الأصفر والأبيض - بينما كانت منطقة الشرق الأوسط الكبير السابقة من ٣ هى أجناس الأبيض والأصفر والأسود.

●●●

بعد كولمبس وكشف إضافة فى العالم الجديد تفجرت أكبر بوتقة فى التاريخ مهيمنا : أمريكا + جنوب أفريقيا نسبيا (أستراليا لا) وهى سائرة إلى جنس واحد بعد قرون مهما كان، وقريبا سيصبح الملونون أغلبية والبيض أغلبية كما أعلنوا إحصائيا.

آخر وأحدث وأصغر بوتقة هى أوربا قلعة الجنس الأبيض التاريخية الكبرى الآن تنهار بالتسرب والتسلل والجاليات الأجنبية من الجنوب فرنسا هى بروتوتيب أوربا، والباقى على الطريق، إنجلترا، ألمانيا أسبانيا، إيطاليا. إلخ.

مع الحضارة الحديثة المذهلة بكل مكوناتها وعناصرها والتقارب الجغرافى والتضاغط الجغرافي قرية كوكبية ستصبح الأجناس البشرية أشد تلاحما وتداخلا واتصالا ببعض، وذوبانا واختلاطا حتى تنشأ يوما ما جنس سائد فى العالم من اللابيض اللاملونين على غرار النمط المصرى الفرعونى. ستبقى صورته طبعا لقرون. ولكن ستصبح الاستثناء لا القاعدة ومجرد حفريات تاريخية تذكر بماضى العلم الجغرافى.

إن انثروبولوجية العالم تتحول من تعدد الأجناس قديما إلى جنس واحد وأحاديت الجنس فى المستقبل البعيد.

●●●

للمناخ (الغلاف الجوى) تأثير رهيب على طبيعة الإقليم الجغرافية (بصرف النظر عن الناس تماما).

فالغلاف الجوي يشكل ويعيد تشكيل الغلاف الأرضى كل يوم وكل ساعة ولكن أساسا كل فصل كيف؟ إن الإقليم الواحد (الأرض) يختلف فى مظهره والإحساس به فى فصل الصيف مثلا عنه فى فصل الشتاء الأرض واحدة وثابتة، ولكن الجو متغير، ومعه يتغير مظهر وشكل وجو الأرض نفسها. فمصر صيفًا، أرض مصر، وغيرها شتاء.

وقطعة من مصر شتاء قد تبدو كقطعة من إنجلترا مثلا إقليم الفن والبرودز يشبه الدلتا أو الدقهلية شتاء ولكنهما يختلفان تماما صيفا بينما قد تتشابه دلتا الدقهلية صيفا مع دلتا المسسبى.

ـ إن المناخ يشكل ويعيد تشكيل وجه الأرض ومظهرها وتأثيرها وانطباعها باستمرار وبقوة نادرة.



نفكر عادة فى الجو باعتباره عنصرا «هوائيا» أى شديد الحركة والتقلب دائما ـ وبمفهوم المخالفة مع الأرض ـ أمنا الأرض ـ بالغة الصلابة والبيئات **Restless atmosphere**.

لكن الواقع أن الأرض فى حالة حركة وانتفاض دائمة لا تنقطع كل يوم تحدث حرفيا ملايين الهزات الأرضية فى كل الدنيا ترصد أو تفوق الرصد، ولكننا لا نحس بها قط. إذن الأرض فى حركة دائمة باطنيا وسطحيا، ولكن دون خطر بالضرورة دائما! **Our Restess Earth**.

هناك إذن متوالية تصاعدية من حيث الحركة.

الجو شديد التقلب والحركة.

المحيط والماء متوسط الحركة والتقلب .

الأرض أقل حركة وتقلبا لكن متحرك ومتقلب .

●●●

الجنس البشرى يتحول الآن ولأول مرة فى التاريخ البشرى والبشر إلى «جنس» واحد ووحيد! نعم جنس، الجنس البشرى ـ بعد أجناس . .

كيف ؟

لقد مر العالم بأربع مراحل من الاختلاط الجنسى والامتزاج والتحاور (الدموى) أو بأربع بوتقات جنسية تاريخية : اثنتان قبل كولمبس والعالم الجديد، واثنتان بعده .

قديما فى العصور القديمة : كان الشرق الأوسط الكبير (من إيران حتى المغرب) هو أول وأقدم بوتقة فى التاريخ يحكم الموقع الوسطى بين تلاقى القارات الثلاث والأجناس الثلاث متحف موزايكو، بوتقة هذا هو البروتوتيب، الأركتيب والنموذج المصرى القديم قمته، وهو الأن بوصلة ومسودة العالم المعاصر والمستقبل .

●●●

كل البيئات الطبيعية سكانها هم «أبناء الطبيعة» بدرجة متفاوة إلا المدن وسكان المدن ــ أيضا بدرجة متفاوتة تاريخيا ثم جغرافيا فالمدن الحديثة الضخمة مقتطعة من الطبيعة، منفصلة عنها إلى حد بعيد أو بعيد جدًّا (مع ذلك فسكان الضواحى وهوامش المدينة يقتربون نسبيا من الطبيعة). فالمدينة طبيعة مصطنعة، «طبيعة ثانية» .

(حتى سكان الريف هم أبناء الطبيعة، وإن لم يكونوا بدرجة أبناء الصحراء أو الجبال أو الغابات إلخ) .

ـ الرأسمالية هى نهاية التاريخ (فوكوياما) حسنا ، هى نهاية التاريخ بمعنى نهاية الإنسان نهاية البشرية . الرأسمالية هى يوم القيامة !

ومصر المعاصرة انتهت إلى الرأسمالية المسعورة وهذه هى نهاية التاريخ ـ نهاية مصر! الرأسمالية كنهاية التاريخ لا تعنى إلا أنها «نهاية الجغرافيا» !

كلا ، يافوكوياما ، وأنصاره : القضية ليست «نهاية التاريخ» بل «نهاية الجغرافيا»! .

إن الأساس القاعدى الدفين وغير المنظور القومية (و إن كان منظورا للعيان) هو العنصر أو الجنس أو العرق .

القومية عنصرية أساسا والجنسية هى الجنس نهاية ولا خداع فى هذا ولا خطأ . لماذا؟ إن القومية التى نعرفها ونسميها هكذا اليوم هى بحذافيرها ما كان يسميه ابن خلدون فى أيامه العصبية بتاعة العصور الوسطى هى جوهر قومية العصر الحديث .



التقسيم التقليدى الثلاث لكتل قارات العالم القديم يخفى الحقائق الجغرافية ويبرز الشكليات فقط .

إنه تقسيم جيوديزى لا جغرافى وهو «قارات جيوديزية» لا قارات جغرافية .

أما القارات الجغرافية الحقيقية والفعالة فى العالم القديم فهى ٥ : أوربا ، أوراسيا ، أورافريقيا ، أفريقيا ، آسيا .



فكرة تقسم العالم إلى ٣ عوالم رئيسية (الأول ، الثانى ، الثالث) ليست

دقيقة تماما . فالفكرة ليست إقليمية صارمــة جامعة مانعة ، بقدر ما هى فكرة قطاعات متداخلة بنسب مختلفة أى تركيبــة أو توليفية من القطاعات الثلاث بنسب مختلفة .

فالعالم الثالث ، مــوجود فى كل من العالمين الأول والثانى ، ولكن بنسب قليلة ، منها يصل إلى قمته فى العالــم الثالث . الذى لا يخلو من شرائح من العالمين الأول والثانى (طبقية أو مكانية) .

وهكذا العالم الثانى كان (ولا يزال)يضم شرائح من العالم الأول والثالث بنسب مختلفة فكان الاتحاد السوفييتى فعلا مكونا منه .

٣ نطاقات أو مجالات من العوالم الثلاث .

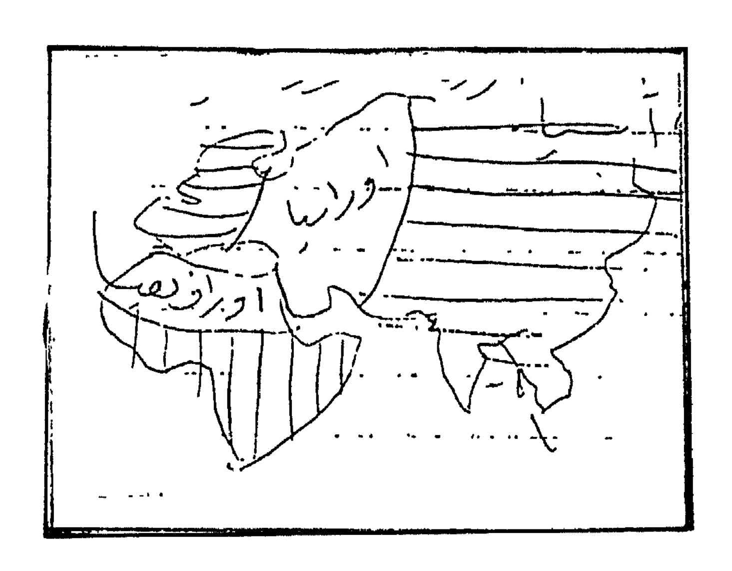
وهذا كلــه ما يـؤكد أن فكـرة الأقاليم البشـرية فى العــالم كله هى أقــاليم جغـرافية نسبيــة جــدا مختلطــة كثيرا ، وليست صــارمــة قاطعــة قط . (وهــذا طبيعى) .

لم تعد فى العالم(الديناميكى جدًّا المتباغض جدا) أقاليم جنسية نقية أو متجانسة كله مختلط تقريبا . حتى أوربا لم تعد بيضاء . وكذلك استراليا بعد سياسة **all white Austr alia** . . . . إلخ .

بينما كان العــالم الجديد كله (والآن + كثيرا) ملونــا مختلط الأجناس منذ البداية ـ وقـريبا سيصبح أغلبية أمريكا (والولايــات المتحدة) من الملونين أو المخلطين !

إن الجنس الأبيض لا ينقرض فى العالم فقط ولكنه ملون فى عقر داره !

●●●





مذكرات فى
الجغرافيا السياسية



الفصل الثالث

٣

العرب والعالم العربى



العرب والعالم العربى ....

فى العالم العـربى وجيوبـوليتكية تشابهـات واضحة مع القوى وصـراعها وتوازنها فى أوربا طبعا على تقريب ومع تجاوز كثير.

أولا كان المغـرب العربى كلـه ومازال ضعيف التكـامل فى كل شىء مع المشرق العربى. هـذه قضية الجغرافيا وقدر تاريخى من هنـا كان معزولا أو منعـزلا بـدرجة مـا مثلمـا كـان دائمًـا الأخ الأصغر، والمشـرق العـربى الأخ الأكـــبر وكان المغرب ولا يزال يشكـو من تباعد وتجاهل المشــرق العربى لـــه . . إلخ .

المهم فى كل هذا الـوضع ، كان المغرب العـربى أشبه بأمريكا الشمــالية والولايـات المتحدة فى مرحلـة الاستعمار البـريطانى فكان المغـرب العربى مستعمرة فرنسية معزولة ومقتطعة خارج العالم العربى تقريبا .

فى المرحلة الثانية ، استقلت الولايـات المتحدة وعاشت فى عزلتها تبنى

نفسها كقوة قادمة فى ظل مبدأ مونرو. هذا هو وضع المغرب العربى اليوم استقل عن الاستعمار الأجنبى، وبدأ يبنى نفسه دون أن ينغمس كثيرا فى مشاكل المشرق العربى وتبعاته ومتاعبه .

قد يأتى الدور الثالث يوما لينافس على زعامة العالم العربى علنا (حدث أحيانا من جزائر بومدين وفشل) .

أما مصر فدروها كبريطانيا فى مرحلتيها كانت بريطانيا أيام الامبراطورية العظمى زعيمة أوربا وبعيدة عنها ومتعالية عليها . . . إلخ هكذا كانت مصر إلى ما قبل إسرائيل والبترول العربى .



بعد أن حاربوه طويلا وبضراوة، قبل العرب الإسلام وأقبلوا عليه بحماس لا يقل هوادة، ربما لأنهم أدركوا أنه أعظم استثمار قومى أتيح لهم فى التاريخ . ولعلهم انقضوا عليه لينشروه بقوة وعنف خارج الجزيرة فعن طريقه فرضوا سيادتهم ولسانهم على المنطقة وعلى عالم بأسره وكونوا لأنفسهم رصيدا تاريخيًّا وقوميا يعيشون عليه إلى الأبد فضلا عن المكاسب المادية البحتة .

لقد خرج العرب من الصحراء ودخلوا التاريخ بفضل الإسلام وما كان لهم هذا ولا ذاك بدونه لم يكن الإسلام بالنسبة للعرب رسالة من السماء فقط، ولكن أيضا نجدة من السماء God send .

التاريخ يصنع نفسه :

ليس الإنسان هو الذى يصنع التاريخ وإن بدا كذلك، أو كان هو الأداة المنفذة إنما يصنع التاريخ نفسه، بمعنى التاريخ المكتوب بيد القدر .

فالتاريخ ليس التاريخ المكتوب بيد الإنسان ولكنه التاريخ المكتوب بيد

القدر وممكن أيضا أن نقـول : الإنسان يكتب التاريخ ولكن القـدر هو الذى يصنعه . القدر يملى والإنسان يدوِّن هذا إملاء وهذا تسجيل .

قبل الإسلام ، لم يكن عرب الجزيرة أمة ولا كان لهم تاريخ . حتى أمة بلا التـاريخ لـم يكـونـوا ، بل مجـرد حفنـة أو شـرذمـة من القبـائل المتحـاربـة المتعاركة ، المتطاحنة المتعـددة اللهجات وأحيانا اللغات ، وهى إن لـم تكن تقع خارج التاريخ فإن لها تاريخ «فولكلورى» على أكثر تقدير .

كـانت الجـزيـرة فى قلب الجغـرافيـا ولكن مع ذلك فى قلـب مـا قبل التاريخ .

كـالاستبس خـارج الاستبس ، ولكن علـى مستـوى أعلى ونتـائج أبقى . دخلت الصحراء التاريخ حين خرجت من الصحراء ودخلته من أوسع أبوابه .

كانت امبـراطورية الاستبس فى أرضهـا ـ جنكيزخـان ـ أوسع امبراطـورية عرفها التاريخ إلى الآن كما يقال .

ولكن لعل الامبراطـورية الإسلاميـة كانت أكبـر أبعادا ومساحـة وعلى أية حال فقد كانت امبراطورية الاستبس توسعا أفقيا بحتا ، محض توسع مسطح بلا عمق بعكس الامبراطورية العربية الإسلام ، مسطح + عمق طويلة العمر ، معمرة ، حيث الأخرى قصيرة العمر جدا .

السبب : الفـارق الحضـارى : هـذه مخـزن من أجل الغــزو والتـدميـر والتخريب ليس إلا ، ولكن هذه فتح بناء متحضر .

هل كـان عرب الجـزيرة قبل الإسـلام بلا حضـارة كما كانـوا بلا تـاريخ ؟ حسنًا ، كـرعاة كـانوا «نصف ـ حضـارة» (كرويبـر) ، وإن شئت فقل حضارة فولكورية بجانب تاريخهم الفولكلورى .

من هنا تفـاعلت شرارتهم مع دول الحضارة بمعنى الكلمـة ، أى بالمعنى المادى ، ولكن كانت لهم بالضرورة ـ ككل الجماعات البدائية على أية حال

ـ «ثقافة» (لا أحد فى الدنيا بلا «ثقافة» مهمـا كان بدائيا وكانت بدائية ـ قانون انثروبولجي عام وأساسى) .

ومع ذلك إذا قورن بدو الصحراء ببدو الاستبس ، فيمكن أن نقول إن عرب الصحراء وصحراء العرب . كانت لها ثقـافة دون حضارة ، بينما لـم يكن لبدو الاستبس لا حضارة ولا ثقافة .

●●●

بدأت القوميـة العربية الحديثـة «كوحدة ثقافية» روَّج الأدبـاء وأمثالهم فى الثلاثيات وحواليها .

والآن انتهت القومية العربية كما بدأت مجرد وحدة ثقافية .

وعبـر مسيرة متعثـرة محزنـة فشلت القوميـة العربيـة كوحـدة سياسيـة أو اقتصادية أو حتى عسكرية .

●●●

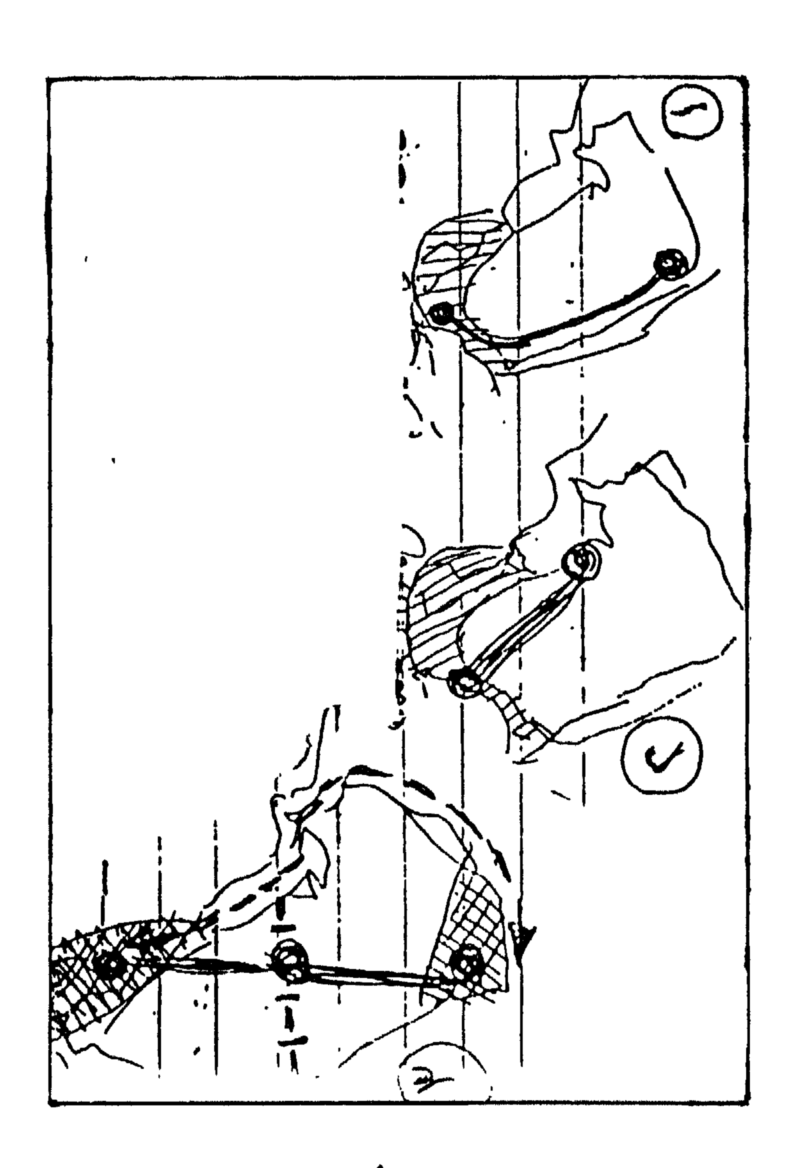
طوال التاريخ كـان هناك محور تاريخى جغـرافى ما بين العراق واليمن ، وكانت اليمن دائما متأرجحة بين ، ومرتبطة بكل أو بأى من العراق والسعودية (أو ما سبقها) والمحور أصله قـوس مائل يتبع سواحل الخليج وبحر العرب ولكن انجرف بعد ذلك إلى قاطع مستقيم عبر الجـزيرة فى الوقت نفسه نذكر محور الشام ـ اليمن عبر غرب الجزيرة وتهامة .

وأخيرا محور الخليج ـ الشام .

أى أن هناك ٣ محاور محورية .

تختط الجزيرة العربية ـ الهلال الخصيب .

يضاف محور عبر الجزيرة على الخاصرة بين الخليج والحجاز .



فى العصور الوسطى كان العالم العربى مستهدفا من جانب أوربا المسيحية. لم يكن العالم الإسلامى مذكورا لأن جوهره كان العالم العربى، والباقى شبه ظل ولذا كان الصدام بين أوربا والعرب. ولكن كان هناك ندية كاملة ولذا كان العالم الصراعى المعروف هو دائرة ـ أوربا ـ العرب، نواة ذات فلقتين ضخمتين متكافئتين.

الآن أصبح العالم الإسلامى كله بما فيه العالم العربى مستهدفا أولا، لأن العالم كله أصبح صغيرا والعالم الإسلامى جزء منه. ثانيا، لأن منذ الاستعمار والسيادة الأوربية والأمريكية أصبح العالم الإسلامى كله مجرد نويَّة قديمة صغيرة داخل جسم الغرب الضخم الذى لف الكرة الأرضية لفا. أصبح العالم الإسلامى مجرد أسفين ضخم فى قلب العالم الكروى، أو مجرد دينوصور منقرض ملقى كجثة شبه هامدة وسط العالم المعاصر.



لا يكون الدين دينا إن لم يكن دنيويا! فالدين للحياة، (لا للدين (؟))، وبالتالى علمانى بالطبع. الدين علمانى بالطبع.

وعكس العلمانيّة أو الدنيوية هو الأُخروية فالعلمانية ليست الإلحادية، بل هى الوسط بين الدنيا والآخرة الدين الوسطى! يضع قدما فى الدنيا وقدما فى الآخرة.

لا دين بلا دنيا، كما لا دنيا بلا دين الجسم للدنيا، والروح للآخرة، للدين.



مثلث عُمان هو أقل أجزاء الجزيرة العربية ارتباطا بسائر أجزائها السبب تطرف الموقع + صحراء الربع الخالى + الاكتفاء الذاتى النسبى للغنى

النسبى لذلك لم تكن هناك محاور حركة أساسية بين عمان وسائر الجزيرة، على عكس اليمن أو الحجاز أو الحسا. بالمقابل يساعد هذا الانعزال على الاتجاه إلى البحر، فالهند فالتهنيد عُمان هى أكثر أجزاء الجزيرة تهنُّدًا بينها الخليج.

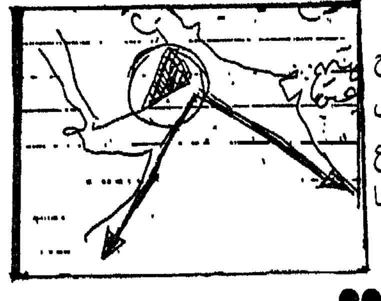
رغم وجود محور سطحى بين الخليج حتى بحر العرب، فإن قطاعات الساحل ظلت جزرا منفصلة كالعقد المنفرط كلٌ فى حاله.

سؤال: لماذا اتجهت عُمان إلى شرق أفريقيا، واليمن حضرموت إلى جنوب شرق آسيا؟ أى بالمعكوس «وخلف خلاف»؟.

ظاهرة مثيرة جدا، ومحيرة.

هل كان لاتجاه الرياح الموسمية صيفا والتجارية شتاء دخل فى هذا؟

اتجهت عُمان وجهتين جنوبا شرقا إلى الهند، وجنوبا غربا إلى ساحل الزنج وشرق أفريقيا الآخرة مع الرياح التجارية الشمالية الشرقية (رحلة الشتاء).



والأول إلى الهند تتعامد على رياح الموسمية صيفا والتجارية شتاء أى تضادها فهل يكون السبب هو اتباع الساحل واتجاهه وتوجيهه تفاديا لتعارض الرياح؟.

●●●

رغم السمترية نظريا، فإن عُمان معزولة عن سائر الجزيرة العربية أكثر من اليمن فاليمن أقل انعزالا وأشد ارتباطا واتصالا حتى بين اليمن وعمان فإن العلاقات أقل مما بين سائر أجزاء الجزيرة السبب الربع الخالى. لكن اليمن وحضرموت اتجهتا إلى الجنوب الشرقى البعيد (والأبعد) متعامدة فى رحلتها

على كل من الرياح الموسمية والتجارية أولا، ثم متجاهلة ومتجاوزة كل عالم الهند على الطريق ثانيا، فلماذا ؟ مازال التفسير مطلوبا .

هذا يذكرنا بالبرتغال ـ لماذا لم تدخل البرتغال المغرب العربى، أو حتى المغرب الأقصى مراكش، وتركته لإسبانيا رغم أنها الأقرب والأكثر مواجهة وبحرية؟ .

بل لماذا تركت كل أفريقيا العربية، بل وتخطت الرأس، ولم تعرف سوى أنجولا ثم موزمبيق والأغرب : لماذا تركت إسبانيا كل أفريقيا تقريبا بل العالم القديم كله (عكس البرتغال) واتجهت إلى العالم الجديد؟ .



كانت الصحراء مشتل الأديان، والرعى مدرستها .

الأديان الثلاث فى مثلثها لم تظهر لا فى الصحراء المطلقة ولا المزروع الكامل بل على جهة التماس والالتحام بين القلب الميت والحلقة السعيدة .

وهذا أعطاها ميزات عديدة للانطلاق والانتشار لو كان الإسلام نزل فى مصر لأصبح دينا «نباتيا» مزروعا فى أرض مصر (كالقبطية) وحدها ولما انتشر.

لو كان نزل فى الصين لصار معزولا فى أقصى الدنيا . وبالمثل لو فى أفريقيا الزنجية .

من أكثر تأثرا وارتباطا بأفريقيا السوداء وأكثر تزنجا : مراكش أم الجزائر أم تونس؟

طبعا تونس أقلها لبعدها عن الصحراء ورغم تعمق الجزائر فى الصحراء فإن هذا وضع سياسى جديد لا يعنى الكثير، بينما كان المغرب مراكش هو الأشد اتصالا وتأثرا بأفريقيا الزنجية وغرب أفريقيا بحكم أن طريق الحركة

الأساسى بين المغرب الكبير وغرب أفريقيا كان دائما الطريق السفلى .

بالمقابل ، فإن نسبة العروبة والتعريب فى المغرب الكبير تقل على العكس من الأثر الزنجى كلما اتجهنا غربا ، بينما تزداد البربرية + الترنج .

من ناحية ثالثة ، كان ارتباط مناطق المغرب . ووحداته الثلاثة بأوربا أقوى فى مراكش وتونس منها فى الجزائر بحكم الوضع الجغرافى ـ (الطريف) أن السيطرة الأوربية عليهم جاءت بالعكس ، ورغم أنها أقل ما كانت وأحدث ما أتت فى الجزائر، إلا أنها أحدث شكل الابتلاع المطلق بالاستعمار الاستيطانى !



العرب مجموعة من الأقارب العرقيين قبل الإسلام بكثير. ولكن درجات القرابة متفاوتة ، وأحيانا محدودة . الإسلام والتعريب دعم هذه العلاقة وضخ فيها دما جديدا .

كما قلنا ، كما تقل نسبة العروبة غربا فى المغرب العربى الكبير، تزيد نسبة الزنوجة والأثر الزنجى ، أى أن العروبة والزنوجة تتناسبان تناسبا عكسيا .

يلاحظ أيضا أن وضع المغرب الأقصى (مراكش) فى هذا يشبه وضع مصر على الجانب المقابل من الصحراء ـ فكما بسبب النيل فى مصر، زاد تدفق الدم الأسود فى مراكش بسبب الساحل محور الحركة الأساسى هناك .

ثم تأتى الجزائر بنسبة أقل من التزنج ، بسبب تعمقها فى الصحراء واقتراب قمة النيجر شمالا. وهى فى هذا مثل ليبيا إلى حد بعيد .

ثم بين الجميع تأتى تونس ، منفصلة تقريبا عن الصحراء وبلا عمق ، وبالتالى أقل الجميع تزنجا .

أى أن تونس هى نقطة الوسط وقلب الميزان فى أفريقيا شمال الصحراء ، فهى أبعد نقطة عن الزنوج وأقلها تأثرا بالدماء الأفريقية ، ثم منها يمينا ويسارا

تزداد نسبة الدماء الأفريقية باطراد حتى تبلغ أقصاها فى أقصى الطرفين مصر ومراكش (مع ملاحظة أنها أكثر فى مصر منها فى مراكش، لأن النيل كان موصلا جيدًا أكثر مما ينبغى للدماء السوداء من طريق الساحل الأطلسى .

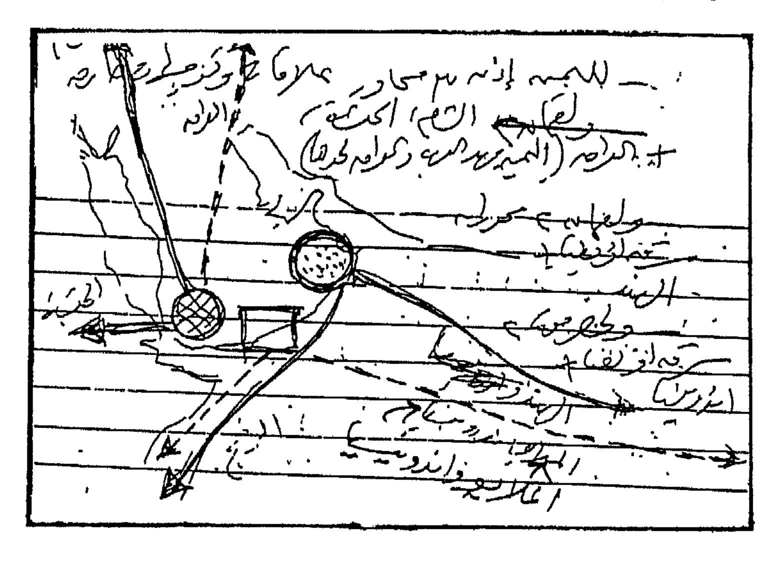
لليمن إذن ٣ محاور علامات وتوجيهات خارجة الشام، الحبشة، + العراق (اليمن مهد العرب والعراق لحدها) .

ـ ولعمان ٢ محوران .

شرق أفريقيا + الهند .

ـ ولحضرموت ٢ .

شرق أفريقيا + إندونيسيا .



●●●

ظاهرة عجيبة فعلا :

الأتـــراك والتـرك والعثمـــانيـة مـــارســوا «القفـــز الضفـــدعى» ليس فى امبراطوريتهم شمال أفريقيا فقط ولكن فى **trek** هجرتهم غربا .

فمن وسط آسيا بدأوا الهجـرة غربا ، ولكن قفزوا على إيـران ، ليتوطنوا فى الأناضول أشبه شىء بقطار له قاطـرة (فى الأناضول) وله سبنسة (التركستان) تركها منفصلة عن القاطرة وبدون قطار فى الوسط (إيران) .

والآن تعـود تركيـا تبحث عن السبنسـة المنفصلـة ولكنها تجـد إيـران فى ظهرهـا كعربـــة حنطور يقـودها حصـان نحو العـرب ، والآن «كربـاج ورا يا أسطى» !

تركيا هنا عميل لأمريكا (حصان طرواده) بينما إيران عدو لأمريكا .

ويبـدو أن جمهوريـات آسيا الـوسطى خرجت من التبعيـة الروسيـة لتقع تحت الوصاية الأمريكية !

تـرك الأتراك لـوطنهم الأصلى فى آسيـا الـوسطى واستبدالـه بجـديد هـو الأنــاضـول ، يشبـه ويسبق هجـرة الأوربيين إلى العـالـم الجـديـد وأمـريكـا واستبدالهم وطنا بوطن إلا أن الفاصل هنـا المحيط ، ولن هناك كتلة متداخلة صفيقة هى إيران .

الصـراع بين إيران وتـركيا حقيقى جـدًّا على الزعـامة فى الشـرق الأوسط وغرب آسيا .

والغريب جـدا أن هناك تناظرا كامـلا فى استراتيجية الصـراع بينهما يشبه ويكمل التناظر الموافق العام العجيب .

فكما يتفق ، هما يؤلفان رأسى حربـة فى مواجهة إحداهما الأخـــرى ومن خلف كل منهما يمتد عالم مساعد يغذيها بالقوة وأسباب القوة والدعــم .

فإيران اليـوم نجحت فى استقطاب كل آسيـا من خلفها تقـريبا ، تمـدها بـالسـلاح (والنـووى) وعـلاقـات صـداقـة وثيقـة أو وثيقـة جـدا : الصين ، البـاكستـان ، الروسيـا ، حتى الهنـد ، بل حتى اليـابـان التى رفضت تحجيم أمريكا لعلاقاتها مع إيران .

●●●

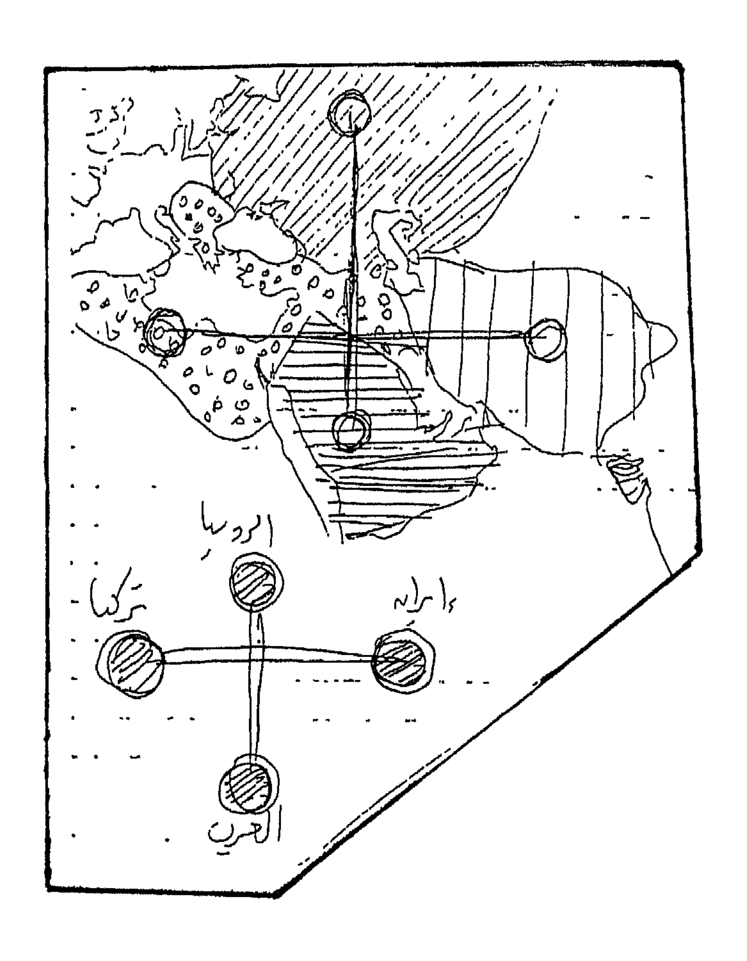
منـذ العصور الـوسطى فقط تاريخ الصـراع الامبراطـورى فى شرق أوربـا وغرب آسيا والشرق الأوسط والعالم العربى؟ هناك ٤ امبراطوريات تعاقبت أو تعاصرت وبينها دائر الصراع كصليب كالموضح .

أقدمها إيران فى الشرق ، وهى سابقة للعصور الوسطى .

ثم فى العصور الوسطى ظهرت الامبراطـورية العربية من الجنوب ثم تلتها الامبراطورية العثمـانية فى الغرب ثم أخيرا وآخرها الامبراطـورية القيصرية فى الشمال .

إن التوجـه الطبيعى سياسيا وحضاريـا واقتصاديا للعالم العـربى والشرق الأوسط كله هو إلى أوربا لا إلى أمريكـا مهما كان التفوق الأمريكى والسيادة والسيطرة الأمريكية .

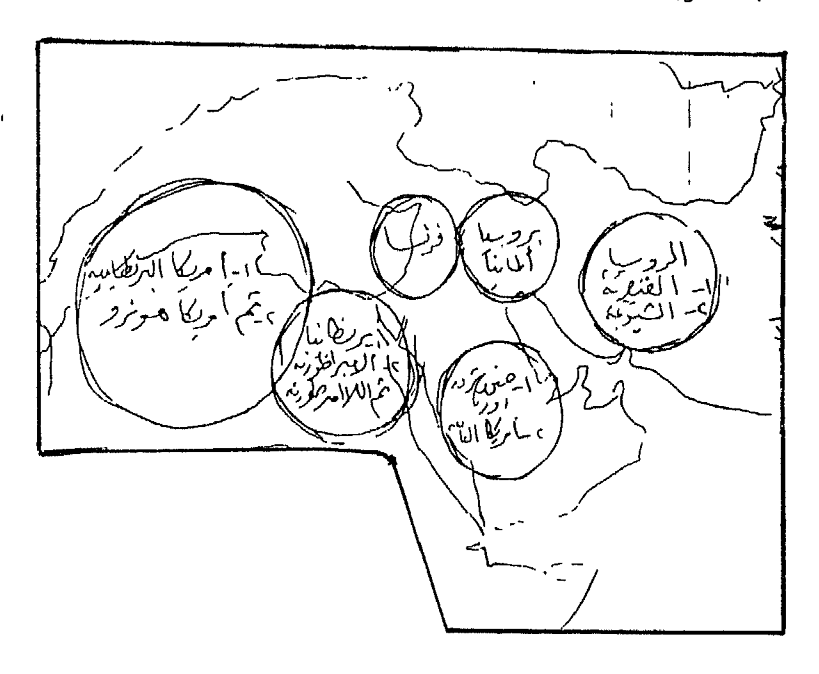
لكنه البترول أسـاسا و إسرائيل أولا، هما اللذان حرّفـا التوجه الطبيعى من أوربا إلى أمريكـا (+ انحدار أوربا) (طبعا) لكن لـولا إسرائيل + البترول لكن المشرق العربى كله (كالمغرب العربى حاليـا) بوصلته أوربا أساسا لا أمريكا ولذا نجـد الآن أن المشرق العربى منطقة نفـوذ أمريكية بحتة ، بينمـا المغرب العربى منطقة نفوذ أوروبية فرنسية .


اوروبا
تركيا
ايران
العرب

أما إيـران فهى تشبه بالـروسية القيصـرية أيام الشـاه ، انقلبت إلى الاتحاد السوفييتي وثورته وأيديولوجيته مع الثورة الخومينية .

أما الشام (خاصة سوريا) فهى ببساطة فرنسا العرب : الزعامة الأيديولوجية والروحية والتقدميـة السباقة ، ولكن بلا قوة مكافئة ـ العـراق هو روسيا العرب وألمانيا ـ صراع القوة + التخلف ، وعقد تاريخية .

أما الجـزيرة العربية فكـانت أشبه بجنوب شرق أوربـا والبلقان . وضعف وتخلف ورجعيـة إلخ . . إلى أن قلبها البتـرول المجنون إلى أمـريكا ولكنهـا التابعة لأمريكا .



هل العرب عائلـة لغوية فقط ، أم هى أيضا وأصلا عائلـة جنسية واحدة؟ هل المتكلمون بـالعربية الآن هم أصـلا أقارب جنسيا بدرجـة أو بأخرى ، أم أشتات جنسية بلا قرابة عرقية؟

هناك دراسات مبعثرة لو صحت لكان كل العرب الحاليين (= المتكلمين بالعربية) هم أصلا أقارب جنسيا بل وعائلة جنسية واحدة .

●●●

كارثـة فلسطين إسرائيل هى ببساطـة كالآتى : طلبت الصهيونية العـالمية دولة لليهود فى فلسطين فأسسها لهم العرب !

المعنى : قيام إسرائيل وضياع فلسطين هو مسئولية العرب والعجز العربى والخيانة العربية والجبن العربى والتفرق العربى .

الذى حدد نتيجة الصراع العربى الإسرائيلى هو الصراع العربى ـ العربى .

الفلسطينيـون لـم يبيعـوا فلسطين لليهـود ولكن العرب هـم الذين بـاعـوا فلسطين والفلسطينين لإسرائيل !

بعضهم يقول : القومية أيديولوجية ـ كالشيوعية وكالإسلام . إلخ ،

وكما سقطت الشيوعية سقطت القومية ، وجاء الإسلام ليبقى . . إلخ .

حسنا ، الشيوعية أيديولوجية ، كالرأسمالية ، وبعيدا عن الإسلام الذى هو دين أولاً وآخـرا ، وليس أيديـولوجيـة بالمعنى الجـارى ، فإن القوميـة ليست أيديولوجية على الإطلاق ، نأخذ بها أو نرفضها ، تنمو أو تندثر . . إلخ

إنما القومية «طبيعة» ، عنصـر طبيعى كالتضاريس والجبال والأجناس . . إلخ من معطيات الطبيعة ، وتحديدا الجغرافيـا وإن أبدت بعدا تاريخيا ، هو بدوره جغرافى أصلا .

أثبتت كل التجارب والأحداث أو سوف تثبت إلى الآن، أن الحقيقة المحورية الوحيدة التى تدور حولها الحياة السياسية والوجود السياسى فى العالم هو: القومية لا بديل عنها ولا مفر منها ولا مبيد لها.

كقطعة الفلين على الماء، مهما غمرتها بالقسر فى غياهب الماء تطفو إلى السطح حتما.

القومية هى سنة الحياة السياسية.

الوطنية قبل القومية وفوقها، تاريخيا وسياسيا، رأسيا وأفقيا.

بمعنى أن الوطنية سابقة للقومية زمنيا وتاريخيا، وسابقة عليها تراثيا وقيمة.

إن قبول العرب نهائيا بضياع فلسطين نهائيا وتثبيت إسرائيل نهائيا، وهو مقابل الخروج الأندلسى مع فروق، سيكون اعترافا بل إعلانا من العرب عن إنهاء وحل العروبة والقومية العربية نهائيا وإلى الأبد. بمعنى أن أمة قررت حل نفسها واعتبار ذاتها ليست أمة ـ تماما كما أعلن الاتحاد السوفيتى حل نفسه وإنهاء وجوده كدولة.

وفى الحاليين، فإنه انتحار سياسى وقومى على مبدأ «بيدى لا بيد عمرو» والعدو المضاد فى حالتنا هو إسرائيل، وفى حالة الاتحاد السوفييتى أمريكا. وفى الحالين، فإن أمريكا هى القاتل النهائى عن بعد **remote assassin**.



نابليون هو أول أصحاب فكرة إقامة دولة يهودية فى فلسطين أى إسرائيل!!



لقد نجحت الصهيـونية فى إنهاء وإفناء القـومية العربيـة التى لم تكن قد بدأت بالكاد وكانت فى مرحلة التكوين والنمو بالمعنى الحديث ـ إذ يبدو أن إسرائيل لن تـزول أبدا فإذا ما بقيـت فهذا حتما هـو زوال القومية العـربية إلى الأبد إنهما نقيضان مستحيل اجتماعهما .

إذا كـان اليهود يقـولون : لا معنى لإسـرائيل بـدون القدس ، فنحن نقـول لهم : لا معنى للعرب بدون فلسطين .

الكوارث السيـاسية التى أصـابت العالـم العـربى + آثار البتـرول ، سببت مرحلـة أو عصرا من التحركـات السكانيـة والهجرات والتبادلات السكـانية + التزاوج الكثيـف بين الدول العـربية . ديـاسبورا [1] الفلسطينيين فى العـالم العربى جعلـت الآلاف منهم يتزوجون عـربا آخـرين كالمصـريين والعرب ، المصريين والليبيين .

بوتقة عربية حديثة وخطيرة :

[وهكذا أصبح فى الشرق الأوسط بوتقان متضادتان بوتقة إسرائيل ، بوتقة العرب] .

●●●

أقطاب الشـرق الأوسط الثلاث ، مصـر ، إيران ، تـركيا ، بينهم منـافسات وصـراعـات إقليميـة حتمية ، أرادت أم لـم ترد ، والمسألـة مسألـة تـوازنـات جيوبـولتيكية لا إرادية . وثلاثتهم غـرماء ومتنافسون رغمـا عنهـم . كل ارتفاع هنا ، يعنى انخفاضا هناك (إسرائيل دخيل هزيل إلى زوال) .

ولكن فروق هامة جدا بين الغرماء الثلاثة !

●●●

(١) دياسبورا **Diaspora** أى «الشتات» (الناشر) .

حقيقة هـامة . ولكن الحقيقـة الأغرب هى أن مصـر والعالـم العـربى هى كذلك أيضـا من الناحية الجنسيـة فهى مجمع الأجناس ومفـرق السلالات! عندها تتقارب كل الأجناس الرئيسية، وتتباعد معظم السلالات الفرعية .

الارتبـاط هنا والتنـاظر ليس عشـوائيـا بل هو وظيفى وعضـوى ومنطقى ، بسبب الموقع الجغرافى الأوسط .

●●●

إضافة إلى العـالـم العربى، والعالـم الإسلامى أصبح هنـاك عدة «عوالم» جديدة العالم الجديد العالم الثالث .

العرب أُخرجوا من التاريخ ، ولكنهم بأنفسهم «استقالوا» من الجغرافيا!



مذكرات فى
الجغرافيا السياسية

الفصل الرابع
الإسلام
والعالم الإسلامى
٤

الفصل الرابع

٤

الإسلام والعالم الإسلامى



الإسلام والعالم الإسلامى ...

إنثروبولوجية الإسلام الحضارية :

ولاشك أن الإسلام اليوم يمثل عنصرا غير متكيف تمام**Misfit** مع حضارة العصر التى هى أساسا حضارة الغرب . وهى مشكلة المسلمين لا الإسلام طبعا ، ولكنها دائما يتم إسقاطها عليه (القاعدة هى مرادفة الإسلام بالمسلمين ، وإسقاط المسلمين على الإسلام لا العكس ، وهذا هو الخطأ الجذرى والعمدى الذى يلجأ إليه كل نقاد الإسلام من حيث هو إسلام) .

وإذا كان الإسلام اليوم ضعيفا مغلوبا على أمره ، والسيادة والسيطرة لأوربا والغرب المسيحى خارج كل حدود ، فإن هذا الوضع ليس قديما أو أصيلا بل حديث طارئ منذ العصور الحديثة . تماما كما هى قصة التوازن وصراع القوة بين أوربا وآسيا .

فقديما فى العصور الوسطى وما قبلها كانت أوربا تقع تحت مطرقة آسيا والآسيويين وغاراتهم واحتلالهم قرونا، وكانت الغلبة دائما للرعاة الآسيويين . . . إلخ ثم انقلب الميزان رأسا على عقب منذ البارود فى العصور الحديثة، وأصبح العالم الآسيوى مستعمرة لأوربا تقريبا .

نفس الشىء بالنسبة العالم الإسلامى (مع ملاحظة التداخل الجزئى جغرافيًّا بين العالم الإسلامى والعالم الأوراسى) .

ففى العصور الوسطى كان العالم الإسلامى سيد أوربا وغازيها . بعد العصور الحديثة انقلب الميزان .

المهم فى هذه النقطة هو ذلك التشابه التاريخى فى تطور علاقة القوة بين كل من العالم الإسلامى والعالم الآسيوى وبين أوربا المسيحية والغرب الأوربى .

●●●

الأقليات الإسلامية خارج العالم الإسلامى تقابلها الأقليات غير المسلمة داخله . جزر فى هذا المحيط مقابل واحات فى تلك الصحراء . وكلتاهما تمثل منطقة انتقال دينية بين كتلة الإسلام وغير الإسلام، أى مساحة من الوصل (بقدر ما هى من الفصل) بين عالمين، أو قل مساحة رمادية بين الأبيض والأسود فهى تقرب بين النقطتين وتخفف من التناقض والتضاد بينهما ولذا فهى مفيدة كعامل ربط نسبيا، أى ليست شرا مطلقا أو شرا لابد منه، أو شىء لا خير فيه وإنما هى شىء لا بد منه .

على الجانب الآخر هى تبدو «كرهائن» فى يد الطرف الآخر، تقع تحت رحمته بالقوة، وفى الأزمات تصبح تحت رحمته بالفعل، فيكون الاضطهاد . . إلخ .

كان العالم العربى فى الشرق الأوسط بمثابة «مرتفع قوة»، أشبه بالجبل المحدب العالى، ولكن تحول الآن إلى «منخفض قوة» تحيط به مرتفعات القوة من كل الجهات (إيران + تركيا + الغرب) فتحول من جبل إلى أخدود - (ولسّه ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾).

كان الصراع الثنائى بين الشرق والغرب إلى أن انتهت الحرب البادرة الآن بكل الصراع أصبح بين الشمال والجنوب.

حسنا، الأصح أن يقال بين الشمال والعالم الإسلامى.

والعالم الإسلامى هو القطاع السياسى الحقيقى والفعال والمتحضر من العالم الثالث والجنوب والعالم الإسلامى من الجنوب وليس فيه، بل ليس فى الجنوب تماما بالمعنى الجغرافى، وإنما هو الوسط إنه أوسط إنه العالم الأوسط - جغرافيًّا وحضاريا وثقافيا وجنسيا وبشريا إلى آخره.

لذا فإن الصراع الحقيقى انتقل اليوم إلى معادلة جديدة: معادلة الصراع: الشمال ضد الوسط (لا الشمال ضد الجنوب).

بعض الغرب ينظر إلى الإسلام على أنه الخطر الجديد والعدو الجديد بعد سقوط الشيوعية والسوفييت إلخ.

هذا علنا وحرفيا.

والمقصود أن الصراع الأيديولوجى السابق حل محله صراع أيديولوجى جديد فالإسلام كعقيدة هو أيديولوجية — أيديولوجية مضادة لأيديولوجيةالغرب، وللغرب، وحضارة الغرب. . إلخ وقديما قال البعض إن (الإسلام = الشيوعية — الإلحاد) أى باستبعاد الإلحاد يقترب الإسلام من الشيوعية أو الشيوعية من الإسلام شيوعية مؤمنة (لا ملحدة) أو فلنقل اشتراكية مؤمنة (لا ملحدة) باعتبار أن الخلط بين الاشتراكية والشيوعية قضية معقدة.

ولأن الإسلام اشتراكيـة أو شيوعية مؤمنة لا ملحدة ، فإن خطـرها أشد من الشيوعية أو الاشتراكية الملحدة السابقة ، لأنها مسلحة بأنياب دينية ومن هنا حرب الكراهية والعداء الرهيب من الغرب .

ليس هـذا بالشيء المقلق أو المحـزن أو المفـزع أو المفجع بالضـرورة ، على خطره وخطورته ، ومأساتـه ومأساويته . لماذا؟ لأنه رغم كل شيء ورغم أنف العدو المقطوع ، دليل ندية ما ، شبهـة ندية اعتراف بأن العالم الإسلامى ليس جثة هامدة أو كمًّا مهملا **quantite negligeable** . المهم فقط أن يرتفع العـالم الإسلامى إلى مستـوى التحـدى بنجاح ، فحينئـذٍ يثبت ذاته وأهليتـه ونديتـه ويفرض احترامـه والاحترام المتبادل والمسـاواة المتبادلة ليبـدأ سلام الشجعـان وصلح الفـرسان وربمـا تكـون هـذه العـداوة هى مفجِّر الفـرصـة والنجاح .

الإسلام اليوم يعيش الحضارة الحديثـة المعاصرة (أى الغربية أو الأوربية) ولكنه لا يعيش نمط الحياة الغربية genre de vie .

هو يقبل الحضارة الغربية ، لا «المجتمع» الغربى . هو مندمج حضاريا ، **مختلف مجتمعيـا . من هنـا الخـلاف والاختـلاف غيـر قـابل للـذوبـان فى الحضارة الحـديثة ، يعيش خارج الحضـارة الحديثة لا يمكن هضمـه كما لا يمكنـه هضمهم . هذا يعتبـره بعض الغـربيين تحـديا ، التحـدى الإسـلامى المزعـوم ، والذى يهـدد حضارة الغرب وربمـا حياة الغـرب ولكن هذا وهم ـ أوهام العوام والخواص والخواجة ـ أوهام الخواجة .**

فعلا ـ انتشـار الإسلام وتمدده ملحمة جغرافية فـريدة لا مثيل لها قط بين الأديان هذا التوسع القاري القرني خرافة تاريخية تقريبا ولكنه حدث .

وحدود العالم الإسلامى اليوم تمتد من المحيط إلى المحيط (الأطلسى ـ

الهادى) ومن البحر إلى البحر (البحر الأسود إلى بحر العرب) ومن البحر إلى المحيط (المتوسط ـــ الهندى). ومن البحيرة إلى البحيرة (بيكال ـ فيكتوريا).

ـ الإسلام دخل أوربا من الغرب ومن الشرق الأندلس والبلقان.

كانت القاعدة فى الأولى الشام الأموى، وفى الثانية الأناضول العثمانى.

هاتان هما البيئتان البحريتان التى توسع منهما الإسلام شمالا.

وهناك بيئتان بحريتان أخريان في الجنوب توسع منهما الإسلام بحرا ـ عُمان إلى أفريقيا واليمن إلى الهند الشرقية.

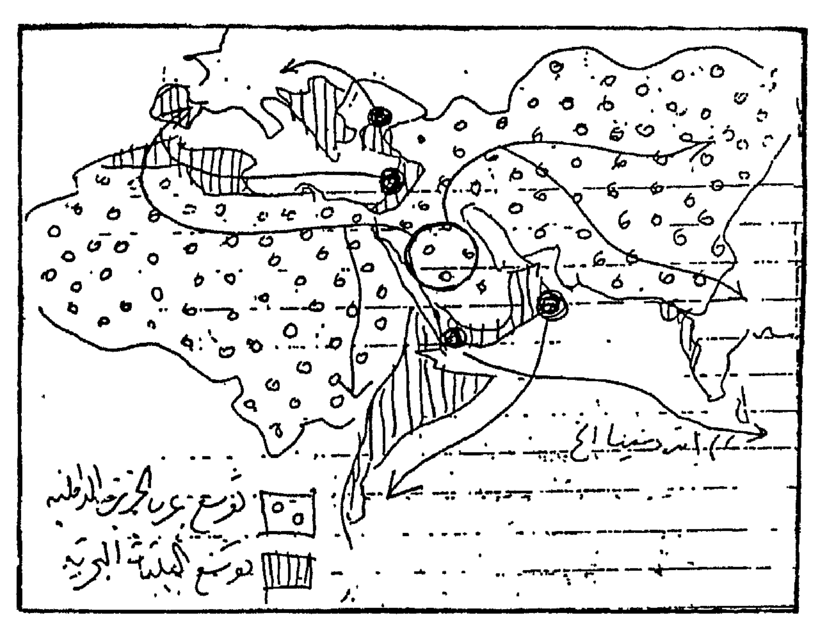
وما بين الاثنين بيئة قاربة برية هى التى توسع منها عرب الجزيرة الداخلية ليغطى قلب القارات فى آسيا وأفريقيا.

لاحظ دور الشام التوسعى كبيئة بحرية: قديما إلى قرطاجنه (تونس). ثم إلى المغرب فالأندلس.

لقد قفز عرب الإسلام رؤوس ولا نقول جثث البيئات المستقرين وتجاوزهم إلى أبعد آفاق الإسلام على رؤوس المصريين إلى المغرب غربا وإلى السودان جنوبا.

فالذى نقل الإسلام وأدخله إلى المغرب وإلى السودان ليس المصريين ولكن عرب الجزيرة عبر مصر).

وهكذا فعلوا شرقا على رؤوس العراق.



الـدولة الإسـلامية العـالمية الـواحـدة هى محض هوس دينى محمـوم، جاهل، معتوه.

لماذا لا يطالب آخرون بدولة واحدة للمسيحية العالمية؟ ثم ماذا يحدث لو تحقق وهم أو سفه الدولتين العالميتين الـواحدتين الإسلامية والمسيحية. أفيقوا واعقلوا أيها المسلمون الجاهليون .

الزاويـة القائمـة الثالثـة فى شرق المتوسط (الشـام + تركيـا) كانت مـركز انتشار الإسلام فى أوربـا : الشام إلى الأندلس، وتركيـا إلى البلقان (لا فضل لمصر قـط فى نشر الإسـلام جغرافيًّـا!) سوى الدور السلبـى، دور الممر لا المِكَرّ، المطية لا الفارس).

من الـلافت بشدة أن أهم خصـائص أو صفات الإسلام هى نفسهـا أهم

خصائص وصفات أرض الإسلام ، أى العالم الإسلامى ، وهى التوسط والاعتدال فى الحالين . فالعالم الإسلامى متوسط الموقع تماما فى العالم القديم ، وبيئته الطبيعية أقرب إلى الاعتدال بحكم هذا التوسط (موقع متوسط ، وموضع معتدل) أما الإسلام فيقال لنا دائما إنه دين التوسط والاعتدال لا إفراط ولا تفريط لا تطرف ولا تعنف .

●●●

فعلا أوربا والعالم العربى (+ الشرق الأوسط) هما وحدهما شركاء التاريخ البشرى الفعال . هما فرسا رهان التاريخ والحضارة والسياحة والاستراتيجية والدين والصراع والسلم والحرب . وإذا كان هناك تنافس وصراع ، فهذا إنما يؤكد النديَّة وأنهما فرسا رهان . وإذا كانت أوربا تنكر هذا ولا تراه ، فهذا عمى ألوان .

من هنا يجب ألا ننفصل عن أوربا ، باعتبارنا وحدنا الأعرق والأقوم والأكثر أصالة وقرابة وقربا فى عالم إما قديم ولكنه معزول تماما كالمجهول أو غير الموجود (الشرق الأقصى) وإما جديد محدث طارئ (أمريكا) . وكما يتقارب الأوربيون أنفسهم داخل أوربا بعد صراعات ألفية رهيبة وذكريات مريرة ، فإن الدور ينبغى أن يأتى على أوربا مع العرب والمشرقيين (الشرق الأوسط) .

لمصلحة الطرفين ذلك على الأقل لإحداث التوازن ضد القادمين الجدد الذين يهددون كلا الطرفين ، وخاصة الطغيان والهيمنة الأمريكية المجنونة .

ولأن أطراف العالم الإسلامى الجنوبية سواء فى آسيا البحرية أو أفريقيا الساحلية تلقت إسلامها من الجنوب العربى ، عُمان وحضرموت ، فإنها قد تأثرت بمذاهبها الدينية فنجد الشيعة فى الحالتين نتيجة للزيدية من اليمن (والإسماعيلية فى شرق أفريقيا) كما نجد الإباضية من عمان ، وكذلك

الشافعية فى الملايو (من اليمن).

نفس الشىء نجده فى غرب أفريقيا من تأثير الإباضية والخوارج والفواطم من أطراف المغرب الصحراوية (وهى أطراف العالم الإسلامى عمليا).

كل هذا لا نجد لهما مثيلا أو مقابلا على الأطراف الشمالية للعالم الإسلامى حيث تسود السنية والحنفية! بتأثير عرب القلب ثم الأتراك.

[هل نستنتج قاعدة عامة أن الإسلام يتدهور نوعيا فى جنوبه عن شماله، وفى شرقه الأقصى عن غربه؟].

مفارقة غريبة جدا الملايو (وسنغافورة) كانت مركز نشر وضح الإسلام فى جنوب شرق آسيا لكن سنغافورة (الدولة) الإسلام فيها أقلية ضئيلة جدا: ١٧٪ فقط! السبب الهجرات الأجنبية من الصين والهند بوذيين وهندوس هذا «خداع الهجرة» (على وزن خداع الأرقام ـ أرسطو).

●●●

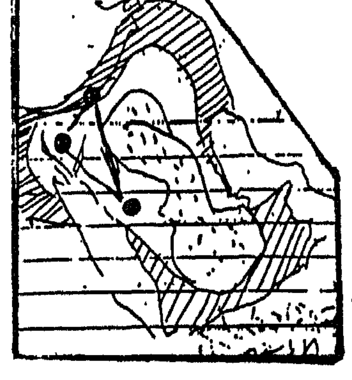
مناطق الدخول والخروج فى العالم الإسلامى: كل من الإسلام والبترول أثر عليها وعدّلها قديما كانت الجزيرة العربية إقليم خروج للسكان ولموجات البشر بعد الإسلام تجاذب إليها المؤمنون وأقاموا + الرقيق كل هذا خلط السكان جنسيا وراكم الكثافة.

وهكذا جعل الإسلام الجزيرة العربية مثل مصر إقليم دخول واختلاط.

البترول جاء الآن ليضاعف الصورة التى بدأها الإسلام إلى الذروة (بينما حوّل مصر إلى إقليم خروج لأول مرة فى تاريخها).

المغرب العربى كان إقليم دخول أيام الاستعمار (المغامرون) بعد الاستقلال تحول الآن إلى إقليم خروج (المهاجرون إلى فرنسا وغيرها بأوربا).

بالمقابل، لو كان الإسلام نزل فى غرب الصحراء الكبرى مثلا لانتشر ولكن فى الغرب وربما فى أوربا دون الشرق فى العالم العربى.



البحر المتوسط مشتل الملاحة.

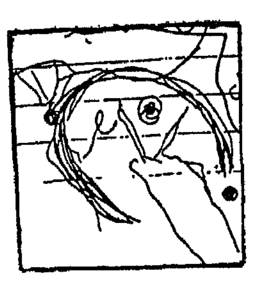
والنيل مشتل الفلاحة.

ولصحراء العرب مشتل الدين.

البيئة الطبيعية وأيكولوجية الصحراء والانتخاب الطبيعى كلها تفسر نزول الإسلام فى الصحراء.

ولكن الانتخاب الاجتماعى والحرفة حرفة الرعى والبداوة تكمل التفسير. كل الأنبياء رعاة.

موسى يمثل وحدة الجزيرة العربية مصر الجغرافية والتاريخ. فهو نشأ فى مصر وعاش فى مدين ثم عاد وذهب مرات. كقوس حول البحر الأحمر.



إذا كانت اليمن لم تتجه إلى ساحل الزنج (عكس عُمان) فإنها اتجهت إلى الحبشة المواجهة عبر الأحمر. وبذلك صار لها نهران عبر البحار (كعمان): أبعد جدا فى الملايو إلخ، وأقرب جدا فى الحبشة.

يحار المرء فى تجديد مدى عمق ووزن وقوة التوغل الإسلامى فى أوربا فى العصور الوسطى .

ففى الغرب فى إسبانيا تقدم الغزو حتى قلب فرنسا ولكنه ارتد فورا إلى قاعدته فى إسبانيا حيث عمَّر ٨ قرون .

فى الشرق فى البلقان تقدم الغزو التركى حتى قلب أوربا الدانوب والقزم وجنوب الروسيا وأبواب فيينا ، ثم انحسر قليلا قليلا وخطوة خطوة على مدى ٤ قرون هى طول عمره فى البلقان كلها تقريبا فى الغرب عمر الإسلام ضعف ما عمَّر فى الشرق ، ولكن زحفه وتوسعه الفعال كان نصف مثيله فى الشرق !

أى بالتنصيف مساحة والضعف عمران .

الغرب = $\frac{١}{٢}$ المساحة × ٢ العمر .

الشرق = ٢ مساحة × $\frac{١}{٢}$ العمر .

ـ مصر هبة النيل .

الخليج هبة البترول .

البترول الإسلامى :

أى البترول فى العالم الإسلامى ينقسم إلى نوعين ، لكل منهما إسلامه البترولى **Petro - Islam**.

البترول الشيعى : ودورة المؤمرات + الحروب العدوانية ، لتصدير الثورة الشيعية [ما يسمى فى إيران «الثورة الإسلامية» لا هو ثورة ولا هو إسلام بل بؤرة شيعية (صديدية) .

البترول السنى : ودورة الرجعية + المظهرية . تدعيم الحكم الرجعى الدينى والثيوقراطي بأسمنت البترول المسلح ، ومحاربة التطور الحقيقى .

البترول الشيعى : ثورة مضادة .

البترول السنى : مضاد للثورة .

الاثنان كلاهما = الثروة ، الثورة .

الاثنان كلاهما = الثيوقراطية فى الداخل .

+ ادعاء الزعامة الإسلامية فى الخارج .

والاثنان كلاهما = باطل وخاطئ ومدمر ومخرّب .

البترول الشيعى = تتار العالم الإسلامى الجدد .

البترول الشيعى = وندال العالم الإسلامى الجدد .



ليس دقيقا بالضبط أن مصر رأسها فى أوربا وجسمها فى أفريقيا .

الصحيح أن مصر رأسها فى أوربا ، وأقدامها فى أفريقيا ، وجسمها فى العالم العربى .



اتخذ الإسلام شكل خريطته الراهنة تقريبا نهاية العصور الوسطى ، حين كان قد أصبح دينا آسيويا أفريقيا من المحيط إلى المحيط ، فى الوقت الذى كانت المسيحية ظاهرة أوربية بحتة ، قاصرة على أوربا ومحصورة (أو محاصرة) فيها أما المسيحية فقد تأخر توسعها خارج قارتها الأم طويلا ، بينما كان الإسلام أسبق جدا إلى التوسع ، بل هو ولد بحجمه وانتشاره الحالى تقريبا أو عمليا إذ تم معظم توسعه فى قرن أو بضع قرن أما المسيحية فقد تأخر توسعها حتى العصور الحديثة والكشوف والاستعمار وخروج أوربا من قوقعتها إلى العالم وعبر البحار حتى لفت معهم الأرض كلها وهكذا أصبح الإسلام محاصرا بالمسيحية من كل الجهات ، بعد أن كان العكس .



العـالـم الثالـث تعبيـر فضفـاض ومركـب جدا وطبعـا أبعـد ما يكـون عن التجانس إلا فى الحد الأدنى .

المهم ، يمكن تقسيم العالم الثالث إلى الوحدات الآتية :

- العالم الإسلامى (العالم العربى + العالم الإيرانى - الطورانى) .
- العالم الموسمى (آسيا الموسمية + الفلبين - اليابان) .
- أفريقيا السوداء (جنوب الصحراء) .
- أمريكا اللاتينية .

طبعـا هناك تـداخلات ، ولكـن محدودة وثـانويـة إنـدونيسيا فى العـالـم الإسلامى ويلتقى فيها العالـم الموسمى (أو الاستـوائى) كذلك أطراف أفريقيا السوداء .



اضطهاد المسلمين ومذابحهم المعاصرة فى ختام القرن ٢٠ وعلى أبواب القـرن ٢١ الميلادى (لا قبل الميـلاد) ظاهـرة مؤسفـة محزنـة مخجلة طبعـا ومرفوضة تماما : ولكنها للأسف طبيعية - فالتعصب الدينى والصراع الطائفى جزء من صـراع الشعوب والأمم والدول والقوى والمجتمعـات والجماعات ، صراع البقاء المـؤبد ولماذا نندهش لـه ونستغربه ؛ على بشاعتـه ورفضنا له ، ومثله أو عكسـه موجـود بيننا داخل العـالـم الإسلامى وقبله ألـم يكن الكفار يضطهدون المسلمين فى عصر النبى ؟

«دار الإسلام» وقد تحولت - للأسف - إلى «دار حرب» .

فى العقود الأخيرة أصبح العالم الإسلامى ساحة لحروب عديدة لا تنقطع

(١) إما داخله بين دول إسلامية .

(٢) وإما حرب أهلية داخل الدولة الإسلامية الواحدة .

(٣) وإما كحـروب أقليات تتعـرض لها الأقليـات الإسلاميـة على تخوم

العالم الإسلامي أو خارجه .

وهذه الحروب تؤلف نطاقا كاملا يطوق العالم الإسلامي ويكاد يلفه لفا من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب .

١ ـ الحروب بين الدول الإسلامية .

+ ليبيا × تشاد ـ العراق × إيران .

العراق × الكويت (+ السعودية والخليج ومصر وسوريا) .

الجزائر × المغرب (الصحراء الغربية) .

٢ ـ الحروب الأهلية الداخلية :

أفغانستان نيجيريا .

لبنان - قبرص .

الفلبين (المورو) .

سرى لانكا (التأميل المسلمين) .

الصومال .

٣ ـ حروب الأقليات الإسلامية :

بورما (أراكان) .

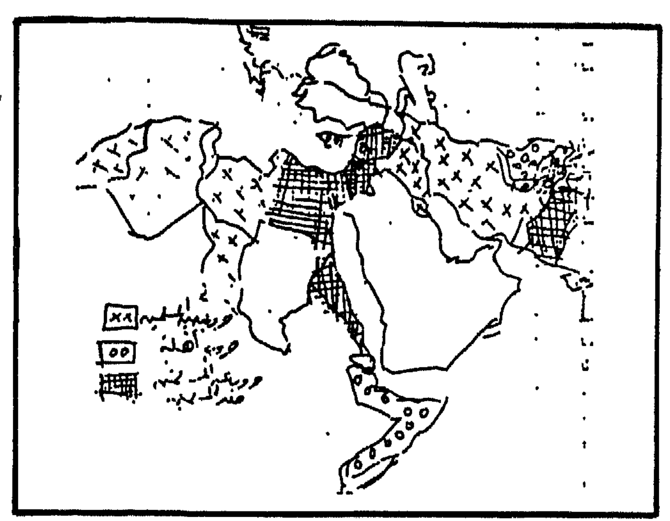
أريتريا .

٤ ـ حروب الدول غير الإسلامية ضد الإسلامية .

الهند × الباكستان .

الصرب × البوسنه ـ الهرسك .

إسرائيل × فلسطين ـ مصر ـ الأردن ـ سوريا لبنان .



في النمط الجغرافي لتوزيع المسلمين :

هنـاك عـدة أنماط لتـوزيع المسلمين خـارج العـالم الإسـلامي أو على هوامشه خاصة : (كما في جغرافية المسكن القروي) .

النمط المبعثـر أو المنثور أو المتخلل ، وهـو ينتشر بهدوء وتـدرج داخل تضاعيف الأغلبيـة غير المسلمـة ، دون تجمع واضح صارم ، كمـا في الهند عبر الدكن .

النمط النووي المجمع ، وهـو كتل صغيرة متبلورة أو براعم مكثفـة ، كما في أراكان بشمال غرب بورما ، وربما أطراف الفولجا .

نمط السندويتش ، حيث يمتد الإسلام كشـرائح رقيقة طويلة تفصلها عن بعضهـا شرائح ممـاثلـة من غير المسلمين ، كمـا في الـوديان بين سـلاسل الجبال ، ربما في القوقاز .

الأغلبية العظمى من المسلمين هـم من عراض الرؤوس، والأقليـة طوال الرؤوس .

فالأغلبية آسيوية، إما مغول وإمـا ألبيون هندو ـ آريين . أما طوال الرؤوس فمعظمهم فى العالم العربى الذى هو قوقـازى حامى سامى + زنوج ومتزنجو أفريقيا .

المهـزلة غيـر المـلاحظة هى أن الصـراع الغـربى ـ الشيوعى السـوفييتى السـابق كـان يحمى العـالم الإسـلامى من عـداء وحقد الغـرب الـرأسمـالى المسيحى . والأن زال الحاجز، فانكشف الحادث !



التعصب غريزة طبيعية تمامـا ، حتمية حتى ولو لم تكن صحية . لا حيلة لنا فيها . لماذا؟ لأنها جزء من أدوات الدفاع عن النفس فى الصراع من أجل البقاء . التعصب هـو الانحياز للـذات والنفس . ومن هنا فـلا مفر منـه كما لاضيـر، إنمـا يصبح التعصب رذيلة حيـن يعنى التعصب ضد الغيـر، ضـد الآخر، بلا مبرر. إذنًا لتميز بين نوعين من التعصب الحميد والخبيث .

فإذا طبقنا فى مجال الدين ، يصبح التعصب الدينى قرينة طبيعية وحتمية للتدين التعصب الـدينى صنو التـدين ونتج الدين ومن الكـذب والخداع أن ننكر أن التعصب الدينى غريزة حتمية وكافيـة كالتدين وكل معالجة لمشكلة التعصيب الدينى (ومـا يترتب عليها طبعـا من عنف وإرهاب وفتنـة طـائفية إلـخ) تنكـر طبيعيـة وحتميـة وواقعية التعصب الـدينى هى خـداع للنفس ومحتـوم فشلها : الصـواب بعـد الاعتراف بـالتعصيب الـديني توجيهـه فى الاتجـاه الصواب ، وهو عـدم التعصب الخبيث ، عدم التعصب «ضد» ، لا «مع» .

●●●

مشكلة الأقليات الدينية داخل وخارج العالم الإسلامى (كما فى غيره) هى مشكلة مزدوجة أو فى اتجاهين فكما تتعرض الأقليات غير الإسلامية داخل العالم الإسلامى لضغوط معينة، تتعرض الأقليات الإسلامية خارج العالم الإسلامى لضغوط مماثلة. وليس لك أن تشكو من هذه وتنكر تلك - أو العكس. فأنت لا يمكن أن نضطهد أقلياتك فى الداخل ثم تشكو وتستنكر اضطهاد أقلياتك فى الخارج، لا يمكن الكيل هنا بميزانين أو بمكيالين وكما تدين تدان.

المفارقة المفجعة حقا أن الإسلام الذى يصلح لكل زمان ومكان، لم يعد له مكانا بالكاد فى هذا الزمان! فخارج العالم الإسلامى الإسلام والمسلمون مطاردون مضطهدون شرقًا وغربا شمالا وجنوبا، فى آسيا البوذية وأوربا المسيحية، فى أفريقيا السوداء، من سائر الأديان السماويعة كما من الأديان أو اللاأديان الأرضية.

غريب جداً: وفى آسيا، الديانات غير السماوية تضطهد الإسلام والمسلمين فى كل مكان الهند الهندوكية، بورما البوذية، الصين.. إلخ.

ولكن فى كل الحالات فإنهم لا يضطهدون بعضهم البعض وليس بينهم مشاكل طائفية فلا الهندوس يضطهدون، أو العكس، ولا الشنتو يضطهدون الهندوس أو أو.. إلخ!

لا يريد العرب والمسلمون أن يدركوا أن هناك ثنائية أبدية فى الصراع الأبدى الدينى فى هذا العالم إنها «ثنائية الثنائية»: صراع ــ دينى أبدى بين طرفين، كل منهما ذو طرفين :

الإسلام + العرب.

ضد المسيحية + اليهود.

لا يريد العرب والمسلمون أن يفهموا أن الغرب والأوربين ينظرون إلى

اليهود كجزء منهم سواء جنسيا أو دينيا (+ حضاريا أيضا). إلا أنه جزء صغير مشاغب كالابن الضال **Prodigal son** الذى سيعود فى النهاية إلى العائلة، مهما فعل فهو مغفور له، والعائلة معه إلى النهاية. جنسيا، اليهود أوربيون (كذلك حضاريا) دينيا هم طائفة ناشز من المسيحية وخوارج أو متخلفون عن الديانة الأم أو الحق.. إلخ.

المهم أن اليهودية والمسيحية فى نظر الاثنين هى متصل دينى **religious continum**حيث الإسلام انقطع بل تناقض مطلق.

بالمثل فإن العرب والمسلمين، العرب والإسلام فى نظر الغربيين والأوربيين هم شكل واحد أو شجرة واحدة أو «متصل واحد».

كان العالم الإسلامى كله مستعمرة واحدة عظمى وإن تعدد المستعمرون وذلك حتى الحرب الثانية .

حركة التحرر السياسى فى العالم الإسلامى تمت فى عدة موجات :

الأولى : بعد الحرب الثانية فى الأربعينيات شملت إندونيسيا وباكستان + سوريا ولبنان .

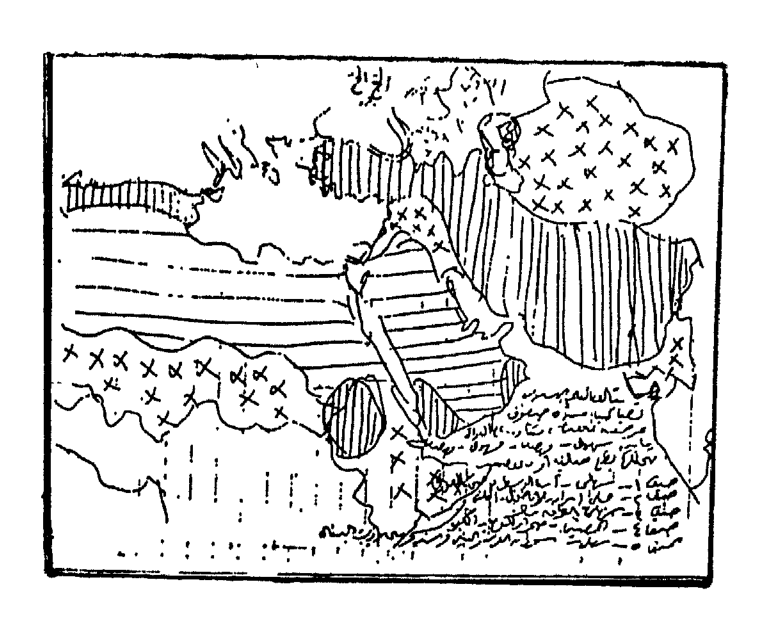
الثانية : فى الخمسينيات .

والستينيات ـ أفريقيا .

وأخيرا : فى التسعينيات جمهوريات اسيا الوسطى السوفيتية سابقا + ألبانيا + البوسنة والهرسك .

وضع أريتريا كان غريبا، فهى المستعمرة داخليا فى الدولة الوحيدة التى كانت مستقلة شكليا فى أفريقيا .





الإسلام فى نطاق أطـراف العالم الإسلامى هو إسـلام على الهامش على هامش الإسلام دينيا كما هو جغرافيا .

ومن الغريب أن تركيا تحولت من دولة إسـلامية ، دولة الخلافة ، إلى دولة علمانية علنا .

بعكس إيران تحـولت من دولة الشاة العلمـانية إلى دولة الثورة الإسـلامية والخومينية والجمهورية الإسلامية إلخ .

هـذان النمـوذجـان يشكلان الآن خيـارين متصـارعين أمـام جمهـوريـة الكومنـولث المستقلة الجـديدة ففى كل منهـا عناصـر شد وجـذب فى كلا الاتجـاهين ولكن النمط التـركى سيتغلب (الإسلام فى كـل دول الكومنـولث هـامشى سطحى رغـم كل شيء والعـودة إلى الإسـلام ستكـون شكليـة غالبـا) .

الغـريب أن أفغانستـان تحولت فى عقـدين من دولة دينيـة إسلاميـة إلى النقيض ـ دولة شيوعية ثم عادت إسلامية دينية جدا .

هذا مـا حدث لـدول الكومنولث ولكن على مـدى زمنى أكبر منـذ القرن الماضى أى فى قرنين تقريبا فدورة أفغانستـان مضغوطة جدا جدا مثلما تأخر الابتلاع السوفييتى لها جدا جدا لكن الأعراض واحدة جيوبوليتيكيا .

عرب الجاهلية كانوا بلا دين وبـلا حضارة ، وكانت دول الزراعة المحيطة به بلا دين ولكن بحضارة .

مع الإسـلام أصبح عرب الجـزيرة بـدين ولكن بلا حضـارة وبعد الفتـوح الإسـلاميـة قـدم العـرب دينهم للمستعـربين والمسلمين وأخـذوا منهم حضارتهم .

وبذلك كانت الحضارة العربية ـ الإسلامية هى نتاج دين العرب وحضارة المستعربين والمسلمين وهى عملية ضرب لا جمع ، لأنها تفاعل كيماوى لا مجرد تجاور ميكانيكى .

أما إذا عد الـدين واللغة حضارة (الأدق أنهما ثقافـة) . فإن العرب قدمت الحضارة اللامـادية والآخرون قدمـوا الحضارة المادية أو أخيـرا إن شئت قدم العرب الثقافة ، وقدم الآخرون الحضارة .

ثمـة قدر متيقن من التـداخل بين الإسـلام والمسلمين طبيعى ، ولكن لا ترادف بينهما طبعا تلك معادلة متناقضة وهذا هو مفتاح الموقف جميعا .

فمن ناحيـة لا انفصال لـلإسلام عن المسلمين إذ لا إسـلام بلا مسلمين (كمـا أنـه لا اشتراكيـة بـلا اشتـراكيين) فـالمسلمون هم التجسيـد المـادى المحسـوس للإسـلام . الإسـلام هو الـروح ، والمسلمـون الجسد . الإسـلام يتجسـد فى جسم المسلمين ويحييه والمسلمـون هم الجسم الذى يحتـوى الـروح ويحميهـا وهم التجسيم المـادى المرئى الملمـوس للعقيـدة والـدين كفكرة وأيديولوجية .

[لا إسلام بلا مسلمين ، ولكن قد يكون هناك «مسلمون بلا إسلام» !] .

أمـا المـرادفـة بين الإسـلام والمسلميـن كمـا يفعل معظم المستشـرقـون والغـرب ، فهذا فقط من قبيل المجـاز ، والاختصـار ، التجاوز واليسـر ولكن يمكن أحيانا أن يكون إيجازا مخلاً ومجازًا مغرضا .

الظاهرة الحقيقية جدا والمحيرة للغاية هى الانقلاب الذى طرأ على وضع الإسلام ودرجة تقبله أو رفضه فى أفريقيا الجديدة بعد التحرر.

قديما كان التحول إلى الإسلام يتم بسهولة وسلام وبإقبال شخصى شديدا من أصحابه الذين كانوا يرون فى الإسلام وسيلة للتحرر والحرية والكرامة .

بعـد التحرر السيـاسى وخروج الاستعمـار ، حدث العكس أصبح هنـاك عقدة نفسيـة ضد الإسلام ، ورفض لـه حادًّا ومـؤكدا ، باعتبـاره وسيلة لسلب الإنسان من حريته الشخصية .

لاشك أن أصابع الدول الاستعمارية والاستعمار خلق ذلك فى الحالين ، ولكن كعنصر ثـانوى وعامل انتهـازى ولكن الأصل والعيب ليس فى الإسلام نفسه .

نهاية التحـــول :

قـديما وحتى قـريب كـان التحول من دين إلى آخـر منتشـرًا ، وكان هـذا أساس تحول الملايين فى أفريقيا وغيرها إلى الإسلام .

الآن قفل باب التحـول تقريبـا . لم تعد هنـاك تحولات بـالجملة أو حتى بالقطاعى أو الأفراد .

مع ظهور الدولة القومية والوعى السياسى والذاتية والخصوصية + الحدود السياسية ، والـروح الوطنية أو الشوفينيـة لم يعد أحد يتحول بسهولة من دين لآخر. تمـاما كانت السيـولة فى الحركة بين البـلاد المختلفة بلا حـواجز ولا حدود ولا جوازات سفر، كذلك كان الدين يجول ويصول .

«الوعى الـدينى طارئ جديـد فى الحضارة الحديثـــة ، ربما حـــل محـــل التعصب الدينى الـذى كـان طابـــع العصـور الـوسطى» ، انتهت الحروب الدينية والطائفية ، لكن بـدأت عملية التجميد الدينى أى البقاء على ما هو علـيه **Status quo** فلا تحول .

الإسلام والمسيحية هما وحـدهما الدينان السماويان الآن ، أمـا اليهودية فقـد أصبحت فى المنـزلـة بين المنــزلتين ، وسطـا بين الأديـان السمـاويـة والأرضيـة ، وتقع فى منتصف المسـافة بيـن الإسلام والمسيحيـة فى جـانب والبوذية والهندوكية فى الجانب الآخر.

كثيـر من ولايـات الهنـد عـدد المسلمين بها يعـادل أو يـزيـد عن عـدد المسلمين فى دول عربية كثيرة .

المفروض أن «دار الإسلام » هى دار السلام .

يبـدو أن «عودة الإسـلام» أصبحت حقيقة واقعـة فى أكثر من مكـان فى إسبانيا اليوم عودة إسلام حقيقة ودالة جدًا تحت ناظرينا .

ثم فى جمهوريـات آسيا الوسطى (السوفييتيـة سابقا) هناك عـودة مؤكدة بمعنى ومفهوم مختلف، بعد طمر الشوعية للإسلام ٧٠ سنة.

فى الـوقت نفسه يبـدو أن ديناميات الإسـلام تختل تمـامًا فقـديمًا كـان الإسلام يتقلص فى تـراجع نحو الجنـوب فى جبهته الأوربية وجنـوب جبهته الأفريقية، الآن هناك عودة الإسلام فى أوربا خـاصة فى طرفيها إسبانيا وآسيا الوسطى + هجـرة المسلمين إلى قلب أوربا.

من أسوأ المسيئيـن إلى الإسلام بعض من أشـد المدافعين عنـه من أبنائه للأسف. والأصـولية الإسـلامية المـزعومة هى بـالدقـة والضبط اللاأصـولية الإسلامية.

الإسلام السياسى دوره ووظيفته الوحيـدة خارجى لا داخلى، وهو تحرير العالم الإسلامى فى الخارج لا الحكم الإسلامى فى الداخل.

واقع الحكم الإسـلامى هو: مأسـاة طولهـا قارتـان وعرضها قـارة ونصف قارة.

لغز توقف الإسلام عن التوسع بعد استقلال الدول الأفريقية وغيرها.

السبب هـو: هـذا من مخلفـات أو الأثـر المتأخـرة **Belated effects** للاستعمار الغادر.

فقـد كـان الاستعمار لا يحـارب الإسـلام علنـا أو مبـاشرة، ولكنـه كـان يحاصره بطرق غير مباشرة.

فقـد كـان يعطى كل الفـرص والإمكـانيـات للـوثنيين المتنصـرين أو المسيحيين من فئات المستعمرة. فكانـوا متأوربين و «متحضرين» بالمعنى الأوربى وجـاهـزين للسلطـة والحكـم حين ذهب الاستعمـار بينمـا كـان المسلمون فى كتاتيبهم ودراساتهم الدينية لا يصلحون لشىء فعلا.

وحين تسلم المتنصرون السلطة ، اتخذ التناقض الديني شكل صراع سافر أو مكتوم ، فأصبحت الدولة الجديدة تحارب الإسلام وتناصر المتنصرين فتوقف الإسلام وتحول من المد إلى الجزر .

●●●

وهناك تناظر بين جبهتي الإسلام الشمالية في آسيا والجنوبية في أفريقيا ، أي في آسيا الوسطى والتركستان ـ الفولجا والسودان الغربي والنيلي .

فكلتاهما جبهة زيادة أو نطاق زيادة **fringe** وصله الإسلام في القرن ١٣ أو قبله أو بعده وشهد قيام امبراطوريات وممالك ودول إسلامية عريقة بالغة الحضارة خصوصا وسط آسيا وكلتاهما نهاية عالم الإسلام ـ هذا استبس وهذا سفانا .

وكلاهما كان مستقلا تاريخيا حتى جاء الاستعمار الأوربي والروسي القيصري في القرن ١٩ وأخيرا تحرر في أفريقيا في الستينيات ، وفي آسيا الآن في التسعينيات .

السواد الأعظم من العالم الإسلامي يتألف اثنولوجيا من ٥ عائلات بشرية رئيسية :

١ ـ العرب أولا من المحيط إلى الخليج .

٢ ـ الترك ثانيا من البلقان إلى بيكال ، وينشطر إلى وحدتين إقليميتين : آسيا الصغرى ، وآسيا الوسطى .

٣ ـ الإيرانية أو الهندو إيرانية في هضبة إيران الكبرى من زاجروس إلى نهر السند (شاملة باكستان) .

٤ ـ الزنوج في السودان الأفريقي (الغربي + الشرقي) .

٥ ـ الملاوية في الهند الصينية وإندونيسيا .

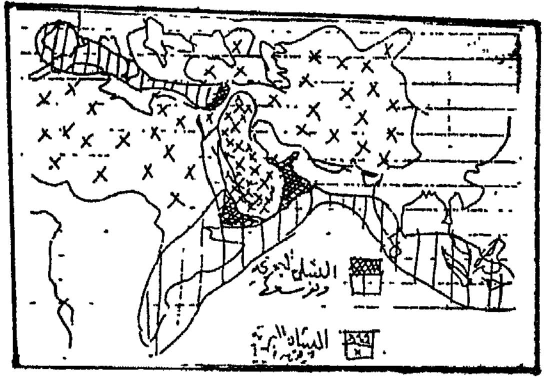


جغرافية الإسلام إذ تعنى جغرافيـة المسلمين ، فإنما تعنى أمة الإسلام لا «ديانة الإسلام» .

من أسبـاب ومسهـلات شـدة توسع وتـرامى العـالم الإسـلامى وانتشـار الإسـلام ، بيئة الجـزيـرة العـربية الطبيعيـة فـالجـزيرة العـربيـة تشمل بيئتين أسـاسيتين بيئة بحـرية فى جنـوب الجزيـرة + الشام ، وبيئـة بريـة قاريـة فى الداخل .

التوسع والانتشار الإسـلامى الهائل قاريا وبريا وأرضيـا كان وظيفة وعمل البيئة البـرية الداخليـة وشمل كل أفريقيا الشمـالية + غرب آسيـا حتى أبواب الهند والصين وسيبيريا .

التـوسع البحـرى بعيـد المـدى وغيـر المتصل كـان وظيفـة وعمل البيئـة البحرية الطاردة (فى كلتا البيئتين البريـة والبحرية طاردة) وشمل جنوب شرق آسيا والهند الشرقية + شرق أفريقيا الساحلى .



البيئة البحرية وتوسعها .

البيئة البـــرية وتوسعها .

آسيا العربية أو بـلاد العرب الآسيوية ليست آسيوية أكثر ممـا تعد أفريقيا العربية أفريقية .

كلاهمـا فى قارتـه وليست منها . كلاهمـا أقرب إلى بعضهـا البعض جدا منهما إلى قارته .

لـذا يحسن أن نعتبر العـالم العـربى عالمـا مستقـلا عن كل من أفريقيـا وآسيا ، لا هو أفريقى ، ولا هو آسيوى (أكثر مما هو أوروبى مثلا) .

آسيا تبدأ عند زاجروس» .

أفريقيا تبدأ عن «السفانا» .

لذا يحسن أن نقسم العالم الإسلامى إلى :

١ ـ الإسلام العربي ، وتشمل العالم العربى .

٢ ـ الإسلام الآسيوى : ويشمل بقية آسيا المسلمة .

٣ ـ الإسلام الأفريقى : ويشمل بقية أفريقيا المسلمة .

●●●

اختيرت الجزيرة العربية مهـدا للإسلام ليس فقط لأن العرب موصل جيد للرسالة بحكم البيئة والشخصية القـومية ، ولكن تحديدا أعظم موصل جيد ، أجود موصل !

●●●

إن الاستراتيجية العظمى لأعداء الإسلام هى استـدراجه وتوريطه فى صدام وصـراع دمـوى ، مسلـح إن أمكن ، مع المسيحيـة . هـذه هى استـراتيجيـة الصهيونية واليهود .

الاستراتيجية الإسـلامية المضادة ينبغى أن تعكس هـذا الصراع : أن تدق

إسفينا ما بين المسيحية واليهودية وتعمل على الفصل بينهما ما أمكن وفى نفس الوقت وبنفس الدرجة التقارب بين الإسلام والمسيحية ﴿**لتجدن أشد الناس عداوة**﴾ الآية .

لا أحد فى أوربا يريد دولة إسلامية بالقارة كلهم يعلنونها بلا مواربة .

لا مكان للإسلام تحت البرد (وإن أمكن تحت الشمس) . المطلوب نفى الإسلام المعتدل (أى المناخ المعتدل) إلى المدار . . .



الإسلام يمتد من المحيط إلى المحيط (الأطلسى ـ الهادى) ، ومن البحر إلى البحر (المتوسط إلى بحر العرب) .

منطقة المشرق العربى هى خاصرة العالم الإسلامى حيث تدور من البحر المتوسط إلى بحر العرب .



بالعالم اليوم ٢٠ مليون لاجئ، ٨٠٪ منهم مسلمون .

إندونيسيا هى الإسلام الوحيد الذى يخترقه خط الاستواء فالإسلام لايصل فى أى قارة أخرى جنوبا إلى خط الاستواء سواء ذلك فى أفريقيا أو أمريكا الجنوبية . فى أفريقيا هو يقطع منطقة الساحل الشرقى لعمق محدود للغاية .



سينكيانج والتبت كلتاهما فى الصين كلتاهما آسيا الوسطى فى الاتحاد السوفييتى السابق ، ليست صينية ولكن استعمار صينى وكما انفصلت آسيا الوسطى فى دول مستقلة ، يجب أن تنفصل سينكيانج والتبت عن الصين كدول مستقلة (داخلية) أيضا إذ لا معنى حقيقة لهذا الابتلاع .

وسينكيانج مسلمون أتراك كأتراك جمهورية آسيا الوسطى الجديدة جنسا ولغة .

من المؤكـد أن تعدد الأديان فى الـدنيا جـاء عامل صراع ونـزاع وعداوات وحروب وقرون لا نهاية لها تماما كتعدد الأجناس والألوان .

تاريخ البشرية الدموى بدأ صراع أجناس وانتهى صراع أديان . بدأ صراعا عنصريا وانتهى صـراعا طائفيا ، بـدأ عنصرية وانتهى طائفيـة فما الحكمة فى ذلك؟

الحكمـة بكل بسـاطـة هى أن تعـدد الأجناس والأديـان بين الجمـاعـات والأقوام (الشعوب فـالدول) كتعدد الطبقات داخل المجتمع الـواحد هى أداة أساسيـة من أدوات الصراع البشرى فى الحياة الـدنيا وهو الصراع الـذى لولاه لفسدت الأرض ، هو موتور الحياة ومحرابه التقدم .

●●●

يقولون الإسلام وحضارة الغرب نقيضان لا يمكن أن يجتمعا ليكن ، يبقى أن الاثنين قد جاء كل منهما ليبقى ، ولا بد من تعايشهما إلى الأبد على الكرة الأرضية . ولا يمكن نفى أحـدهما من الكرة الأرضية التعايـش محتوم عليهما مقدور ومقرر أما الصراع فعبث لأنه لن ينتهى ولن ينهى وجود أى منهما .

●●●

كان الغرب يتحـدث عن الخطر الأحمر أى الشيوعية ، فـابتكر الآن تعبير «الخطر الأخضر» أشارة إلى خطر الإسلام ! .

بعد سقوط الاتحاد السوفييتى وزواله وبدء البحث عن عدو جديد قيل إنه الإسلام ، نؤكـد أن الإسلام خارج المعركة والحلبة هـو فقط كبش فداء مؤقت أمـا العدو الحقيقى الفعـال فسيظهـر من بين صفـوف المعسكر المنتصـر، بالغـرب ، وسيكون الصـراع الرهيب بين أمـريكا وأوربا الغـربية أو اليـابان أو أو. . ولعلهم هنـاك يخدعـون أنفسهم ثمن حتميـة ومأسـاويـة هذا الصـراع القادم بالحديث الشفهى عن الإسلام كعدو.

الإسلام حوّل قبائل الجزيرة العربية من «أعراب» إلى «عرب» .

كبدو رعاة رحل ، لم يكن للعرب «حضارة» .

كما كان الإسلام أسرع الأديان انتشارًا جغرافيا ، كان أسرعها إلى التوقف عن الانتشار تاريخيا ففى غضون قرن واحد تقريبا ، حقق الإسلام الحد الأقصى من انتشاره رقعته الجغرافية ولكنه توقف بعد ذلك ، وهو الآن فى حالة تراوح بين الثبات والحركة والتمدد والتقلص .

●●●

لا قيام لعالم إسلامى كقوة أو كوحدة أو ككيان محترم فى العالم، ما بقيت إسرائيل فى قلبه وعلى قلبه .

●●●

الواقع أن أصبح هناك مدرستان فى علاقة الإسلام بالحضارة (= الحياة) ، ولا تقول أصبح هناك ديانتان أو إسلامان !

الأولى : الإسلام هو الحضارة والحضارة هى الإسلام = الإسلام دين الحضارة، دين حضارى دين متحضر.

الثانية : الإسلام ضد الحضارة ، والحضارة نفى للإسلام وضد الإسلام ، والإسلام دين غير حضارى ولكن دين أخروى ، والإسلام ليس دين الحضارة لأنه ليس دين الدنيا بل دين الآخرة .

●●●

تركيا الآن وبلا مواربة تعمل على فرض زعامتها على الشرق الأوسط وانتزاعها الزعامة الإقليمية و إيران تنافسها فى ذلك طبعا .

كيف حدث هذا ؟

هذا محاولة لملء «الفراغ» السياسى فراغ القوة الذى حدث بخروج مصر

تماما من معادلة القوة الإقليمية ومن زعامة العرب (ولا نقول من العروبة تقريبا) .

لقد فقدت مصر زعامتها ومكانتها مرتين : قوميا (العرب) و إقليميا (الشرق الأوسط) .

●●●

مطلوب إعادة رسم الخريطة السياسية للعالم الإسلامى وهذا هو القطب الثانى من قطبى الإسلام السياسى (بالمعنى الحميد) . فلا وظيفة للإسلام السياسى الفعال (الحميد) إلا اثنتين : تحرير فلسطين .

وحدة العالم الإسلامى السياسية .

أى الدولة الإسلامية الواحدة . ولكن بأى معنى؟ هذا ما سنوضحه فى الكراسة التالية [1] .

العالم الإسلامى فى العصور الوسطى كان هو العالم الأول .

وكانت أوربا المسيحية هى العالم الثانى وآسيا جنوب شرقها هى العالم الثالث .

عرب الإسلام دخلوا البلاد المفتوحة فكانت معادلة التفاعل كالآتى : «ثقافة» العرب × ومقابل «حضارة» المفتوحين .

ومن تفاعل العنصرين جاءت الحضارة العربية الإسلامية المعروفة والرائعة .

●●●

من الآن فصاعدا ، يجب أن نفرق بين نوعين ومفهومين من العلمانية ،

---

(١) سيشكل ما جاء فى هذه الكراسة جزءا من المذكرات التى ستنشر فى وقت لاحق . (الناشر) .

منعـا لخلط الأوراق عمدا أو جهـلا، فكما نفـرق فى الاقطاع بين «الإقطـاع الغربى» والإقطاع الشرقى (حيث إن الكلمة لاصقـة بالتراث العربى نفسه ولا مفر من استعمالها)، نفرق بين «العلمانية الغربية» والعلمانية الشرقية، أو إن شئت العلمانيـة المسيحية والعلمـانية الإسلاميـة، وكلتاهمـا لا تلغى الدين ولكن تفصله فقط عن الدولة، أمـا الفارق فهو أن ليس فى المسيحية أحكام تشريعية تترك أو يؤخذ بها، بعكس الإسلام.

●●●

قل تعالوا إلى كلمة سـواء بيننا وبينكم! هذا شعار المسلمين للمسيحيين الآن كمـا ينبغى. أسـاس التعـايش السلمى بين الـديـانتيـن هـو الاعتـراف المتبادل، الاحترام المتبادل، الإخاء المتبادل الرخاء المتبادل. ديانتان وعالم واحد؛ ثقـافتان وحضارة واحدة.. نحن معـا، ووحدنا فقط الـذين صنعنا الحضارة القديمة والحديثة، وشكلنا تـاريخ العالم ومن عائلة جنسية واحدة هى القوقازية، وتصدينا للإلحاد الشيوعى حتى سقط.. إلخ.

●●●

إذا كـانت المسيحية تعتبـر اليهـــودية أصلهـا ولكنهـا متخلفة عنهـا، وتعتقــد على أيـة حال أنهما مرتبطتـان جوهريا أى أنهـــما «متصـــل دينى» فقد آن الأوان للغرب المسيحي أن يدرك خطأ هذه النظرة أو النظرية وأن يفك هـذا المتصل، ويحل محلـه متصـلا دينيًّـا جديـدا وحقيقيـا وهـو «متصل المسيحية ـ الإسلام».

لا بـد من عقـد صلح تاريخـى بين الديـانتين الحقيقيتين الـوحـدتين فى العالم ـ أمـا اليهودية فخرافة وأكـذوبة وهذه هى القطبية الثنائيـة الجديدة فى العالم الجديد، عالم السلام الإسلامى ـ المسيحى.

وبالمثل يبدو الإنجيل والتوراة أشبه بجـزئين من كتاب واحد أكثر منهما

كتابين مستقلين .

ليست المسيحية واليهودية ديـانتان منفصلتين مختلفتين ، بل هما «نصفا ديانة واحدة» فالاختلاف بينهما ثانوى (تكتيكى) والتشابه قوى (استراتيجيى) فـلا يصل إلى حد التنـاقض قط ، أمـا التنـاقض الحقيقى فبينهما معـا وبين الإسلام إنه تناقض ضروري واستراتيجى .

معادلة الصراع الدينى فى العالـم اليوم هى :

$\frac{1 + 2}{3}$ ، أى اليهودية + المسيحية ضد الإسلام .

من جديد .

هنا عكس مـوقف أمريكا وانجلترا منـذ سنوات فى حرب الفـوكلند سبب الفرق أن فى المعادلة خصم مشترك هو: الإسلام .

قد لا توجد ، بل قطعا لا توجد ، أقلية دينية فى العالـم كالأقباط فى مصر، فليس فى العـالـم أقليـة دينيـة عـاشت فى أعمق أعمـاق أحضـان الإسـلام ، وعايشتـه حتى النخاع ، في حنـايا وظلال مجتمع إسـلامى وحضارة إسـلامية بـالكامل وطوال تاريخه كالأقباط ، أقلية مشبعة تماما بالجو والبيئة .

ليكن أقباطنا هـم هـمزة الوصل وأداة الـربط ورابطة الصداقة بين المسيحية والإسلام كما بين مصر والغرب . وليكن هذا أيضا دور المسيحية العربية على وجه العموم . فالأقلية المسيحية فى العـالـم العربى خاصة ، والعالـم الإسلامى عامة ، هى جسـور طبيعية ممهدة وممددة بين الإسـلام والمسيحية ، والعرب والغرب . لنوظف أقلياتنا لتحصين أغلبيتنا .

●●●

الجغرافيا علم «الأين» .

على المسلم الذي يكتب عن العالم الإسلامى أن يضع نفسه فى مكان غير المسلم، خاصة الأوربى المسيحى، ليس فقط ليكون موضوعيًّا، ولكن أيضا ليستوعب وجهة نظر الآخرين «الآخر».

●●●

أسوأ دعاية وأكبر إساءة للإسلام هى الإسلام السياسى بالمعنى الأصولى.

الإسلام السياسى إذن نوعان، كما يمكن تصنيفه :

١ ـ الإسلام الحميد = تحرير فلسطين أساسا + تنمية وتطوير العالم الإسلامى.

٢ ـ الإسلام السياسى الخبيث = الثيوقراطية والدولة الدينية .

●●●

هناك الآن «تكالب» على دول آسيا الوسطى الجديدة. متعدد الحوافز والأغراض والنوايا.

دول آسيا الوسطى الخمسة الجديدة بالنسبة لتركيا هى بمثابة أوربا بالنسبة لأمريكا أى أنها الأم التى هاجرت منها وهجرتها الابنة الآبقة تحت إغراءات الحداثة والعالم الجديد. إلخ والآن عادت لتتذكر الجذور والأصول وتتقرب .. إلخ

أما إيران فتقاربها وتوددها هو من الدرجة الثانية، وفيه شىء من الفضول والرذالة : العلاقة بين دول آسيا الوسطى الجديدة وكل من تركيا وإيران مختلفة عن الأخرى.

فهى مع تركيا كالعلاقة بين الدول العربية وبعضها البعض أى علاقة قومية، ولكنها مع إيران كعلاقة العرب بها (أى إيران) (أو تركيا فى هذا

الصدد) ـ علاقة إسلامية فقط .

الأولى علاقة وحدة قومية (+ دينية طبعا) .

الثانية علاقة وحدة دينية فقط .

●●●

كان الغرب يحاول أن يستدرج العالم الإسلامى ليكون معه جبهة ضد الشيوعية ، على أساس أنها العدو المشترك للاثنين .

بعد سقوط الشيوعية وزوال الاتحاد السوفييتي ، أصبح العالم الإسلامى هو المرشح الجديد كعدو الغرب الجديد . وإلى هنا لا جديد . الجديد هو أن الغرب سوف يستدرج خلفاء الاتحاد والشيوعية إلى صفه ليكوِّن جبهة مشتركة ضد العالم الإسلامى والإسلام ، باعتبارهما العدو المشترك للاثنين . بل لن يجد الغرب مشقة فى هذا ، ولن يحتاج الأمر إلى استدراج : سيأتى الشرق الشيوعى القديم ليلقى بنفسه فى معسكر الغرب الموحد ضد الإسلام والعالم الإسلامى .

●●●

فى العصور الوسطى ، العصور الإسلامية كان العالم المعروف المغمور ينقسم كما اليوم إلى ٣ عوالم :

العالم الأول : هو العالم الإسلامى .

العالم الثانى : هو أوربا المسيحية .

العالم الثالث : هو الشرق الأقصى الموسمى الوثنى .

[كانت أفريقيا السوداء مجرد إشاعة تقريبا ودخان أسود ، وعمليًّا خارج المعمورة كالأمريكتين واستراليا] .

الإسلام اليوم فى فرنسا هو الديانة الثانية بعد الكاثوليكية (وقبل البروتستانتية واليهودية) .

عددهم ٥ , ٦ مليون = ١١٪ من سكان فرنسا .

تكوينهم : ٥ , ٢ مليون فرنسى .

٤ مهاجرين عرب ومسلمين .

المسلمون الفرنسيون جنسية تكوينهم الأصلى كالآتى :

٧٠٠ ألف جزائرى اختاروا الجنسية الفرنسية .

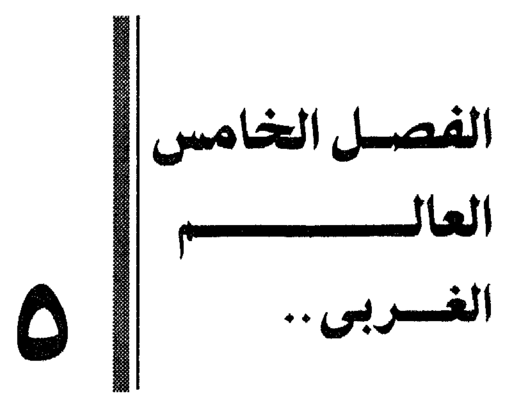
واستقروا بفرنسا بعد استقلال الجزائر ١٩٦٢ .

٣٠٠ ألف فرنسى حقيقى .

●●●



مذكرات فى
الجغرافيا السياسية



الفصل الخامس

٥

العالم الغربى



العالم الغـــربى .....

١-أوروبـــــــا

ومرت صراعات البشرية من أجل القوة والسيطرة العالمية فى ٦ مراحل :

١ ـ فإلى ما قبل الإسكندر الأكبر كـانت السيادة للشرق البعيد والقريب ، أى آسيا عامة ، على الغرب وأوربا (عصر آسيا) .

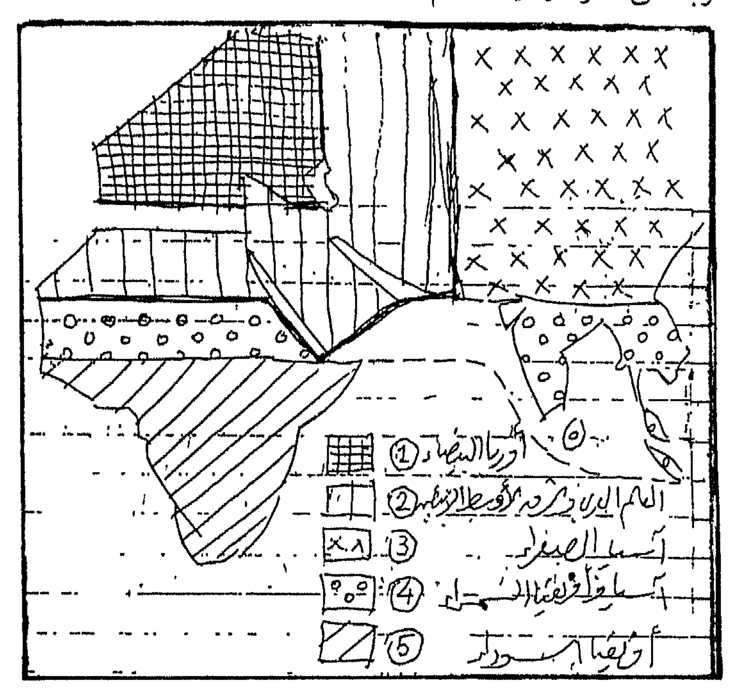
٢ ـ منـذ الإسكندر تغلبت اليـونان على فـارس وأوربا على آسيـا ثم أتت رومـا وامبراطـوريتها لتـؤكد هـذا التوازن الجـديد . واستمـر هذا حتى ظهـور العرب .

٣ ـــ مع العرب والإسـلام تغلبت عرب آسيـا والشرق الأوسط على أوربـا وآسيا وحققـت السيادة العالميـة وانتزعتهـا من الجميع . وظل تفـوق العرب والشرق على أوربـا والغرب حتى نهايـة الصليبيات حيث تحدد نقطة النـدية

فالصليبيات كانت تحدى الغرب وأوربا للعرب والشرق ، وكان هجومهم بينما العرب على الدفاع دليل قوة ، ولكن صمـود العرب حتى انتصارهم كان دليل التفوق والنتيجة الصافية تعادل قوة وندّية عصر العرب .

٤ ـ منذ نهاية الصليبيات بـدأ ميزان القوة يميل لصالح أوربا والغرب على الشرق القريب والبعيـد حتى كان طرد العرب من إسبانيا + طـرد الروس لرعاة المغول والتتـار وسيطرتهم التقليديـة السابقة وانتقال القـوة كاملة ونهـائيا إلى الغرب وأوربا .

٥ ـ منذ طرد العرب + الكشوف الجغرافية + الاستعمار بدأت سيطرة أوربا والغرب على الشرق وآسيا والعالم كله (عصر أوربا) .



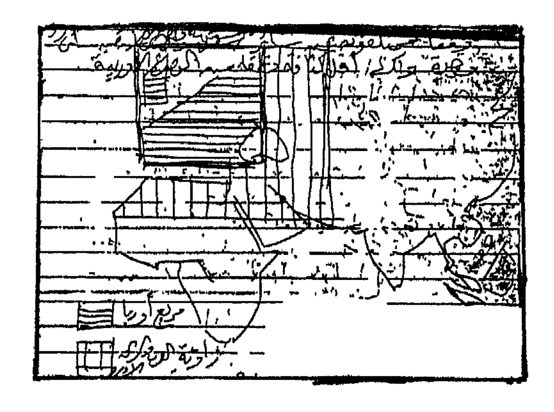
كـانت أوربا البيضـاء فى صـراع دموى ألفى طـوال تـاريخها مع بعضهـا البعض أعدى الأعـداء الآن يتقاربـون ويتحابـون ويتطلعون إلى دولـة واحدة الولايات المتحـدة بعد إن لم يكونوا يرون إلا الاختلافـات والخلافات بينهم ، لم يعودوا يرون إلا التشابهات والروابط بينهم ! ما من محبة إلا بعد عداوة !

حسنا ، كانت أوربـا البيضاء المسيحية طوال العصـور الوسطى المظلمة فى حـرب ظالمـة وعـداء غيـر منطقى مع العالم العـربى والشـرق الأوسط ـ المسلمين ولا يزال الثأر والتعصب والحقد والكراهية بدرجات متفاوتة .

ـ ما من محبة إلا بعد عداوة !

هذا ما يحدث الآن فى أوربا بعد حـروب ألفية (وبالآلاف) بدأوا يتقاربون ويدركون وحدة أصلهم وكيانهم .

يـوما مـا سوف تتسع الـدائرة ليكتشف الأوربيون أن أقـرب الشعوب غيـر الأوربيـة إلى الأوربيين هم العـالم العربى والشـرق الأوسط ، وإنهم جميعـا قوقازيون ، بيض ، متحضرون ، مختلفـون عن سائر شعوب الأرض أى وحدة ولكنها أقل كثافة وعمقا من الوحدة الأوربية .



المربع + الـزاوية يؤلفان معـا مربعا أكبر هـو مربع القوقازيـة : وهذه هى الوحـدة الأساسية فى شمـال غرب العالـم القديم ، وكل ما خـارجه مختلف بشريا وجنسيا وحضاريا وثقافيا عن الاثنين .

الضلع الرأسى من الزاوية = أوراسيا .

الضلع الأفقى من الزاوية = أورافريقيا .

●●●

لن يعتبرنا الأوربيـون والغرب يوما مـا منهم أو مثلهم على الإطلاق . وهذا سليم ، وغيره خطأ . ولكن التقارب بيننا يتم بـالتدريج الوئيد ، والأن بتسارع : الفروق مـوجودة وستبقى . لكن المشـابهات ستظهـر أكثر وأكثـر الآن الفروق التى بيننا وتفرق بينـنـا تبدو أكبر من المشابهـات التى تجمعنا وتجمع بيننا فى المستقبل القريب ، سيدرك الطرفـان والجميع أن الفروق التى تفصل بيننا أقل من المشابهات التى تجمع بيننا .

ليس هذا فحسب : سيـدرك الجانبان أن الفـروق التى تفصل بيننا وبينهم فى نـاحية وبين بقيـة العالم فى نـاحيـة أخرى ، أقـوى من المشابهـات التى تجمعنا وإياهم مع سائر العالم .

سيـدرك الجميع ، أن أوربا والغـرب أقرب إلينـا نحن المصريين والعـرب منهم إلى بقية العالـم ، والعكس صحيح : نحن المصريين والعرب أقرب إلى الأوربية والغرب منا إلى أى أحد آخر فى العالـم وسائر العالـم .

كما أن العرب ليسوا شيئا واحدا ، فإن الغرب غربان ، وأوربا أوروبات .

يقول الأوربيون ليس العرب شيئا واحدًا ، شيء أعداء . . إلخ .

حسنا الغـرب أيضا ليس شيئا واحـد ، بل غربان الغـرب الأدنى أو الغرب الأوربى أى أوربا والغرب الأقصى أو الغرب الأمريكى أى أمريكا .

أما أوربـا نفسها فأوربات عـدة أو عدة أوروبـات : أوربا الغربيـة ، أوربا الجنوبية ، أوربا الشرقية أوربا الوسطى شمال أوربا (سكانيا) .

الغرب الأوربى هو بمثابة المشرق العربى ، والأفريقى المغرب العربى .



كما أنه ما من محبة إلا بعد عداوة ، فكذلك ما من مساواة إلا بعد صراع .

كل جماعـة تفضل نفسها على الآخـرين ، وتعتبر نفسهـا الأرقى والأسمى وترفض أن تعترف بالآخرين أندادا متسـاوين معها ومساوين لها إلى أن يفرض الآخرون أنفسهم عليهم بـالقوة والحرب والصـراع ، حتى يتقاربوا ويتصـالحوا صلح الشجعان وهذه قصة أوربا بشعوبها المختلفة داخلها وما كارثة الاتحاد السوفييتي وشـرق أوربا مؤخـرا إلا آخر وأحـدث تجسيد لهذه الحقيقـة ولهذا القانون .

الآن الدور والـدورة على العـرب المسلمين والإسلام عـامة . فعـلا أوربا والغرب تبحث الآن عن عدو (وليس هـذا توهما أو شذوذا ـــ هو طبيعى جدا فى التاريخ والحياة) .

نفس القضيـة مع أوربـا + العـرب ، لا العـرب ، ولا أوربـا ، تتنـافس مع الأخـرى على صدارة العـالم سـواء فى الماضى أو الحـاضـر . كلاهمـا يعلم ويعلن أن الأولوية لأوربا والغرب الآن وإلى الأبد لكن العرب تشعر أنها الرجل الثـانى فى العالم ، وتـريد اعتـراف أوربـا بها على هـذا الأساس ولكن أوربـا ترفض تكبـرا ومكابرة ولكن سيأتى اليوم الـذى تدرك فيه أوربا صحـة وشرعية الادعاء العربى وستقربهم إليها على هذا الأساس .

مهما تضاءل العـالم وانكمش وتقارب وتجانس حضاريا وثقافيـا وطريقة حياة ، مهما أصبح العالم كله أمريكا عظمى أو قـرية أو بيئة (قرية أمريكانا)

ستظل الشخصيات الإقليمية والطوابع القومية والهويات والكيانات الوطنية قائمة صلبة متفردة بكل خصوصياتها وذاتيتها . . إلخ .

لماذا؟! لأنه حتى لو تجانست كل هذه القشرة الحضارية الحياتية تمامًا ، فستظل النواة الدفينة الكائنة تحت الجلد وحتى العظم ، وهى الجنس ، ستظل الناس والشعوب أجناسا مختلفة وألوانا متضادة إلخ مهما زادت شفافة الغلاف الحضارى ، بل كلما زادت كلما تأكدت وبرزت إلى السطح النواة الجنسية الأنثروبولوجية الاثنية .

فقط حين يصبح الجنس البشرى كله جنسا واحدا متجانسا موحدا فى صفاته الجسمية ، يمكن أن يختلف الأثر والموقف .

لهذا بالدقة ، فرغم أن الشرق تمثل وتلبس كل حضارة الغرب الآن ، فإنه لايزال الشرق . . لازال شرقيا فى حضارة غربية ولازال الشرق شرقا والغرب غربا رغم أنهما التقيا .



فعلا إن أوربا اليوم تتأمرك ولكن ليس بالمعنى الحضارى والمادى والمعنوى والثقافى الشائع بما فى ذلك السطحيات التافهة كالهامبورجر والجينز . . . إلخ ، وإنما بمعنى سياسى جولوليتكى خطير وحقيقى . إن أوربا تتحول إلى الولايات المتحدة الأوربية كنظير وعلى غرار الولايات المتحدة الأمريكية إلى دولة قارة وقارة دولة .

إنها ليست نهاية التاريخ ، ولكن نهاية الجغرافيا . !



بالروح الصليبية المتعصبة الأوربية المعهودة هناك حمى مسعورة وسعار وحدوى وحقيقى يجتاح أوربا والأوربيين الذين يريدون فجأة أن يقتلعوا أنفسهم من تاريخهم العدائى المأساوى الرهيب ، تماما كذلك الشعور

والحمى التى اجتاحت الأمريكان المؤسسين لاقتلاع أنفسهم من أوربا وجذورهم بها، ثم لتجاهل اختلافاتهم الجنسية واللغوية والدينية إلخ، إلى أن كان الاستقلال والدولة الجديدة .

وتماما تماما، وإن بالمقلوب، فكما كان الأمريكان الأوائل يسعون إلى الدولة الجديدة لكى يستقلوا عن الطغيان والظلم والتبعية والسيادة البريطانية الغاشمة، فإن الأوربيين اليوم يسعون إلى الوحدة الأوروبية لكى يستقلوا عن وصمة الوصاية والحماية والتبعية والتخلف والخضوع لأمريكا (الولايات المتحدة) وغطرستها المكشوفة والوقحة .



أوربا هى القارة الوحيدة تقريبا التى تمتاز بالتجانس الطبيعى جغرافيا . فكلها مناخ واحد بارد تقريبا .

بينما سائر القارات كل واحدة منها قمة فى التنافس الطبيعى آسيا أعلى الجبال والمرتفعات وأوطىء الأراضى، أغزر الأمطار والصحارى اكثف الغابات والأراضى الجرداء أفريقيا نفس الشيء، أمريكا الجنوبية وكذلك الشمالية حتى استراليا .

إلا أوربا! السبب ضآلة المساحة نسبيا + الموقع الفلكى الواحد تقريبا .



الصراع بين أمريكا وأوربا الآن على القوة فى العالم مداره ومحوره الخفى الآن هو: الروسيا فبعد سقوط الاتحاد السوفييتى المشين، (والذى هو ليس بنصر حقيقى لأمريكا، وإنما غلطة تاريخية سفيهة) وزوال التهديد السوفيتى

لأوربا الغـربية ووضـوح هدف أمريكـا فى كبت أوربا عن الارتفـاع إلى القوة العـالميـة ، أصبح الصراع الأوربى الأمـريكى واضحـا ومـؤكـدا أوربا تـريـد الإفلات من قبضـة أمريكا والتبعية الأمريكيـة وأمريكا تريـد كبح وكبت أوربا وإبقائها تحت سيطرتها .

فى هـذا الصـراع الجديـد أصبحت ورقـة الـروسيا هى الهـدف وضمـان الرابح : أوربا تريد أن تجتذب إليها الروسيا كمتمم البيت الأوربى طبعا .

وأمريكا تريد الروسيـا كحليف خاص لها خارج المفهوم والإطار الأوربى مثلما كانت العـدد الخاص سابقا الصراع هو: من منهما سيرث الـروسيا فى جيبه الخاص؟ .

أوربا وأمريكا تلعبان معا لعبة تواطئ خبئ خبيث ضد البوسنة والهرسك .

فكل منهما تترك مهمة التـدخل للأخرى ، أمريكا تتركها لأوربـا باعتبارها مشكلة أوربية وأوربـا تتلكأ بزعم عدم اتفاق أعضـائها ولترك الفرصـة لأمريكا باعتبارها القيادة العليا ! .

ولكن الاثنتين يتباريان فى التسويف والتلكـؤ عمدا بأمل أن يفرض الأمر الـواقع نفسه وهـو انتصار الصـرب ، حتى لا تقـوم دولة السـلاطين فى قلب أوربا .



واضح أن أوربـا والغــرب فى بحث دائم عن عـدو مـا . وتـاريخ أوربـا الحديث هو سلسلة متعاقبة من العداءات الموجهة .

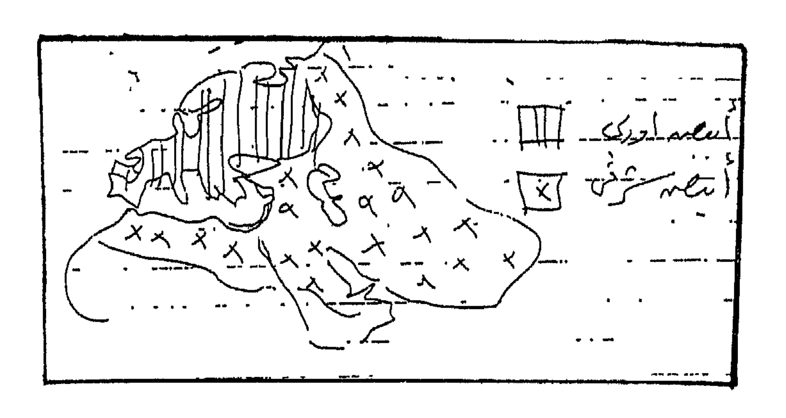
فى القرن الماضى **anti semitism** .

بعد ذلك **anti Communism** .

الآن **anti Islamism .**

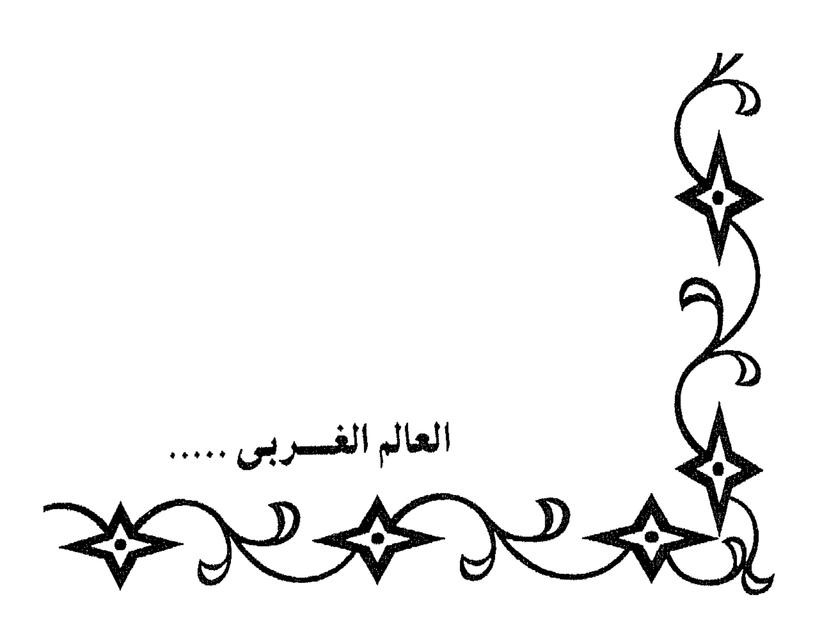
كمـا نميز فى الأصـوات بين التينود الغـربى والشرقى بمعنى أن الأول هـو الأوبرا المعروفة ، والثانى هـو التينود الطبيعى غير المستعار، كذلك ينبغى أن نميـز فى ألوان البشـرة والأجناس بين «الأبيض الأوربى» «والأبيض الشـرقى» وهو الأبيض القوقازى غير الأوربي ، أو الأبيض القاتم أو الكابى .

وهذا يشمل نطاقا دائريا كاملا حول نواة أوربا البيضاء .



الروسيا وتركيا السلاف والأتراك، هما حلقتا الوصل بين الجنس الأبيض والأصفر. فالسلاف الروسى بيض ولكن منهم فى أقصى الشرق بعض ملامح مغولية خفيفة بالتدريج.

والأتراك فى أقصى الغرب (الأناضول) مغولا أصلا ولكنهم بيض وفيهم ملامح أوربية قوقازية قوية جدا والحلقتان معا هما نواة أوراسيا بالمعنى الأنثروبولوجى الجديد.



٢ ـ أمريكـــــا

الولايات المتحدة (وهى كما قلنا مـرارا بريطانيا القرن ٢٠) تقع اليوم على وتمر بنفس المرحلة التـى كانت عليها بريطانيا منذ أواخـر القرن ١٩ (حوالى ١٨٧٠ / ١٨٨٠ وما بعدها حتى الحرب الأولى) حيث كانت تتربع على قمة القوة وقوة العالـم بلا منافس وتبدو مـؤبدة هناك ، بينما كانت تتراجع وتتصدع من الداخل وتنحـدر بالتـدريج غير المنظور، إلى أن جـاءت ضربة الحرب الأولى فكشفت البطن وضـربت نصف قـوتهـا ثـم انتهى النصف البـاقى فى الحرب الثانية ، وتم السقوط .

الآن تصارع الـولايات المتحـدة للبقاء على القمـة ولكن الانحدار تحت أقدامهـا سار وصـارم والانكشاف العام تم الانـزلاق النهائى قـريب جدا فى

انتظار أى ضربة من المنافسين الجدد (أوربا ألمانيا، اليابان).

ومنذ الحرب العالمية الثانية ومنتصف القرن ٢٠ انتقل مركز القوة نهائيا من أوربا إلى أمريكا (الولايات المتحدة) لتصل فى النهاية وحاليا إلى السيطرة والهيمنة على العالم كله بما فى ذلك أوربا والغرب، أى انتقل كل شىء من العالم القديم إلى العالم الجديد، ومن أوربا إلى أمريكا، خاصة بعد زوال الاتحاد السوفييتى وسقوط الشيوعية وحرب الخليج الثانية (عصر الولايات المتحدة).

وأمريكا تختلف عن أوربا الرأسمالية فى أنها قمة الرأسمالية والرأسمالية العليا العاتية «السوبر رأسمالية».

المهم أنها تختلف عن أوربا فى أنها وإن كانت قمة الطبقية المطلقة العاتية إلا أنها أيضا قمة الحراك الاجتماعى والسبولة الطبقية المطلقة، الفارق بين المليونيرات والصعالبك رهيب لا مثل له فى العالم الرأسمالى ومع ذلك ممكن لكل صعلوك أن يحاكى وبالفعل يصبح مليونيرا. هذا بالضبط هو الحلم الأمريكى وهو ما يميز أمريكا عن أوربا سليلة الإقطاع والرجعية والطبقية.

أمريكا أول دولة امبراطورية على مستوى الكوكب حجمها هى أول حجم يتناسب مع حجم الكوكب ككل.

أما قبلها فكانت أكبر امبراطورية (بريطانيا) حجمها تناسب مع مقياس عالمى فقط (أو دولى) أى جزء كبير من الكوكب، لكن ليس الكوكب كله.

وأمريكا تختلف عن كل دول الاستعمار السابق، لا فى أنها فقط تنكر أى علاقة لها بالاستعمار، ولكن أساسًا فى أنها أول مستعمر وقح متبجح بصورة علنية فاجرة فالمستعمرون قبلها كان يعرفون أنهم لصوص ولكن لا يدعون

حقا فى ذلك، إلا أمـريكا فإنها لأول مـرة تعلن بكل قحة أنها لصـة ولها حق اللصوصية.

والاستعمار العـالمى عاد إلى الـوجود فى صورة أخطـر جدا ممـا كان فى القرن ١٩ وقبل الحرب الثانية هو الاستعمار الأمريكى، وهو استعمار عالمى تماما ولأول مرة.

وهو أول استعمار «عن بعد» **Remote - Imperialisn** ولم تعد هناك دولة مستقلة واحـدة فى العالم أجمع، الكل تـابع وخاضع للاستعمـار الأمريكى الأجدد. العالـم الآن برمته ولأول مرة مستعمرة أمريكية واحدة.

يقال فى أمريكا إن لوس أنجلس تسبق أمريكا دائما (بقرن بنصف قرن ؟) تماما كما قيل عن باريس فى أوربا حيث تسبقها بقرن على الأقل دائما.

الإدارة الأمـريكيـة **adninistration** تعبيـر أمـربكى بحت، يقـال عن الحكومة والنظام الحاكم وهذا شأنهم.

الجـديد والطـريف أنه الاستعمـار والهيمنـة الأمريكيـة الجديـدة، وهى وحيدة على قمـة العالـم، هـو المفهوم الجديـد «للإدارة الأمـريكية»، الإدارة الأمريكية للعالم!.

وديموقراطية أمريكا المزعومة التى تتباهى بها على العالم حتى على أوربا وتعتبرهـا مثاليـة وتجسيد المثـالية الأمـريكية المـدعاة، فعـلا كانت سـابقة لعصرهـا فى وقتها، ولكنها الآن متخلفة تمـاما عن عصرهـا تنتمى إلى القرن ١٨ وتحتاج إلى نسف لا أقل!

ويبدو أن دور الروسيا الذى اختارتـه لنفسها بعد انتحار الاتحاد السوفيتى وللمشاركة الشكلية مع أمريكا فى النظام الجديد (تعلقا بحبال الهواء) هو أن تعمل «كوكيل لأمريكا» فيما كان الاتحاد السوفييتى سابقا، أى كمساعد أول

للسيد الأمريكى العالمى .

ويبدو كذلك أن النظام العالمى الجديد وارد أمريكا يعتمد على اعتماد مجموعة من الوكلاء الإقليميين الكبار فى كل منطقة رئيسية من العالم ـ وكلاء . . . . وأمريكا تشرع لنفسها فقط علنا وقانونيا الإرهاب الدولى العالمى ، حيث قررت محكمتها العليا حق أمريكا فى اختطاف ومحاكمة أى أجنبى تطلبه .

هذا بالضبط يعنى أن أمريكا بدأت تعامل العالم الخارجى كما تعاملت مع الهنود الحمر فى الداخل : الإبادة والإرهاب الرسمى الشرعى ! !

لقد بدأت الحرب الباردة بالفعل بين شاطئ الأطلسى ، بين أوربا وأمريكا ، حلفاء الأطلنطى لقد انتقلت الحرب الباردة من الشرق ـ الغرب أو الشيوعية الرأسمالية إلى داخل الغرب نفسه الغرب ـ الغرب وداخل الرأسمالية والرأسماليين القدامى خاصة فرنسا (+ ألمانيا) وأمريكا (+ بريطانيا) .

أصدقاء الأمس سيصبحون أعداء الغد بمثل ما قد أصبح أعداء الأمس أصدقاء اليوم ! .

أمريكا هى «سرطان العالم السياسى» لا تنطبق صفة السرطانية على شىء فى الدنيا كما تنطبق على أمريكا . كل خصائص ومشخصات وأعراض السرطان تنطبق عليها كما لا تنطبق على أى شىء آخر سوى الجسم الإنسانى :

إفراط النمو، والتضخم المرضى القاتل الذى يهدد سائر الجسم (العالم) في صميم وجوده .

وطريقة الحياة الأمريكية كما يسمونها ما هى؟ هى الهستيريا ! الحياتية طريقة حياة أمريكا هى هستبريا دائمة سُعار مستمر، مركز ومصدر ومحرك

وموجه هذه الهستيريا الوطنية هو الإعلام : الإعلام الأمريكى هو قمة طريقة الحياة الأمريكية المزعومة إنه الجنون والهستيريا المسموعة والمقروءة والمرئية . . إلخ والشعب الأمريكى قطيع قائده الإعلام ، وهو حاكم أمريكا الحقيقى حتى الإدارة والحكم ينقاد لموجات الإعلام العاتية ويخضع لإشعاعاتها الضارة إن عفوا أو عمدا .

ولما كانت إسرائيل هى التى تحكم الإعلام الأمريكى الذى يحكم العقل الأمريكى فإن إسرائيل هى الحاكم النهائى والأخير والحقيقي للدولة الأمريكية .



ولولا خطر الهيمنة والتسلط والاستعلاء الأمريكى لما توحدت أوربا سياسيا . . . . إنها رد فعل أكثر منها منطقا طبيعيا إنها سياسية أكثر منها جغرافية وإن فرضت نفسها فى النهاية كجغرافيا سياسية ولذا فإنها كمعظم حقائق وواقع الجغرافيا السياسية اصطناعية أكثر منها طبيعية أى «غير جغرافية» ولكن على الجغرافيا أن تتعامل معها وإن لم يكن عليها أن تعترف بها .

ملاحظة هامة جدا وجديرة بالتفكير منذ نشأتها وأمريكا تدعى المثالية السياسية فى كل مجال وشىء هم أشراف وأطهار وأنبياء العفة السياسية فى العالم وعبر التاريخ . . إلخ وقد «فلقوا» العالم بحديثهم وحواديتهم عن حقوق الإنسان وعدم الاستعمار و . . و . . . إلخ والعكس تماما تماما هو ما يفعلون ولكن ما من قوة على الأرض يمكن أن تقنعهم بذلك .

وأصبح من الواضح تماما أن العالم كله وأمريكا يتبادلان الحقد والكراهية علنا ، أمريكا تلعن العالم الوقح الحاقد عليها ، والعالم الذى لا يخفى كرهه

لها ينتظر بفارغ الصبر لحظة الشماتة العظمى فيها حين تسقط وتتدحرج وساعتئذٍ ستتصرف أمريكا ضد العالم كالحيوان الكاسر الجريح .

لقد صار بين أمريكا والعالم «تار بايت» .

أمريكا الآن في حالة «سعار قوة» سعار سياسى مجنون ، شبه جنون القوة وجنون العظمة وقد نسجل مزيدا من الانتصارات (اقرأ العدوانات) العسكرية فى مناطق مختلفة من العالم عبر السنوات القادمة ولكن هذا السعار سيكون مقتلها فى النهاية .

الغذاء الداخلى الجديد لأمريكا الولايات المتحدة لم يعد الكاريبى ولا أمريكا اللاتبنية ، وإنما الوطن العربى والعرب أصبحوا لعبة أمريكا المفضلة ومستعمرتهم الخصوصية جدا ، وعليهم وحدهم بمارسون قيادتهم المزعومة للعالم .

وأمريكا دولة الشذوذ السياسى العظمى فى العالم كيف ؟

١ ـ هى الوحيدة النى توسعت بالشراء أحيانا .

٢ ـ هى الوحيدة التى تشترى تبعية سياسات الدول الأجنبية بالشراء أى بالمساعدات والمنح المادية ، أى تشترى السياسة بالاقتصاد .

٣ ـ هى الوحيدة التى تدعى المثالية السياسية ، رغم أن واقعها هو النقيض المطلق تماما .

وكيان أمريكا ذاته وكله فيه المادة الخام النموذجبة للثورة الشيوعية كما حددها ماركس ـ وهى أرقى الدول الرأسمالية تطورا وتقدما إذن هى المرشح الحفيقى للشيوعية الناضجة القادمة فشل الاتحاد السوفييتى سببه أن الشيوعية فيه قامت فى المكان الخطأ والزمان الخطأ ـ شبه إقطاعى رأسمالى بادئى فلننتظر !

يبدو أن ما كان يقال عن ألمانيا واليابان استراتيجيا سيقال عن أمريكا قريبا، ولكن بالمعكوس ! فألمانيا واليابان عملاق اقتصادي وقزم سياسى كما قيل، بينما تتحول أمريكا تدريجيا إلى عملاق سياسى وقزم اقتصادى.

هل تمثل أمريكا اليوم مرحلة احتضار الحضارة أم انتصار الحضارة ؟.

ما الذى دهى العالم؟! لم يحدث قط من قبل أن ظهرت قوة إمبريالية طاغية مستبدة مفتونة بقوتها ومجنونة بالقوة والغطرسة العلنية على العالم كله كما حدث من أمريكا اليوم. وفى الوقت نفسه لم يحدث قط أن استكان العالم كله وسكت ورضخ وخضع فى هوان وذل حقير كما يحدث الآن.

كانت الستينيات روح الصراع والتحدى.

والآن التسعينيات موت الروح وروح الموت؟.



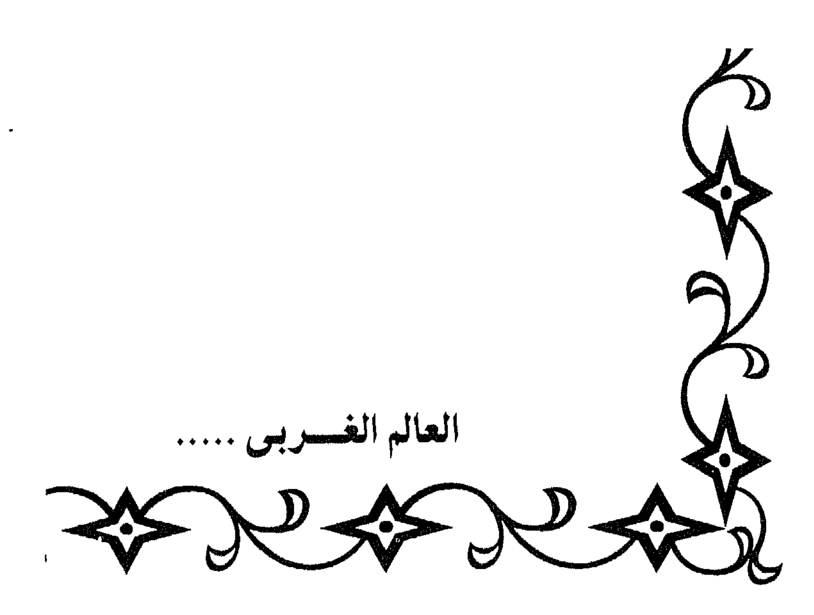
الصراع أبدى دائم طوال التاريخ على كل المستويات ومتعدد الأبعاد والجوانب.

صراع أجناس+ صراع شعب + صراع دول وقوميات + صراع طبقات + صراع فردى بحت.

والكل يتداخل و إن برز أحده فى حالة بعد أخرى.

والذى حدث ليس نهاية التاريخ، وإنما «نكسة التاريخ». نعم لقد انتكس التاريخ وتقهقر إلى الوراء قرونا أو عقودا على الأقل.

لكن هكذا هى حركة التاريخ طوال التاريخ تقدم فتقهقر، خطوة إلى الخلف ليقف خطوتين إلى الأمام فلا بأس.



٣ ـ روســـيا

انتهت الحـرب البادرة بيـن الغرب والشـرق بسقـوط السوفييت، فبـدأت الحرب الباردة بين الغرب والعالـم الإسلامى (وعمومًا العالـم التالث!) الحرب الباردة مستمرة ولكن بصورة أخرى ومع عدو جديد .

ما حدث للاتحاد السوفييتى (المـرحوم)سيحدث لأمريكا : السقوط من الداخل، و إعلان الاستسلام والهزيمة .

مع الفوارق طبعا .

كيف؟ كمـا أعلن الاتحـاد السوفييتـى عجزه عن الاستمـرار فى الصـراع والتحدى الثنائى واستسلم للانزلاق إلى أسفـل خارج الصراع وتحت أمريكا بها فستعلن أمـريكا يومـا ما عجزها عن الاستمـرار فى قيادة العالم الأحـادية

وإدارة شئون هـذا الكوكب وحدها ، وتعلـن الانسحاب من الزعامـة والقيادة والصـدارة لمن يريـدهـا وهنا ستظهـر القوى الجـديـدة (المتحديـة الآن فى صمت) .

هناك مزايـدة بين أوربا وأمريكا على اجتذاب الروسيـا هناك تكالب على الروسيا .

فى ميزان القوة العـالمية والإقليمية نصف ما فقدته الـروسيا بزوال الاتحاد السوفييتي ، تحول أوتومـاتيكيا لحساب تركيا فكل آسيا الـوسطى تقريبا خرج من عباءة الاتحاد السوفييتى لتدخل تحت عمامة تركيا .

تركيا هى أكبر الكاسبين فى عملية الوراثة الإقليمية فى المنطقـة ، أكثـر من إيـران قطعا ، وطبعـا من مصـر التى خسرت فـى الحقيقـة ولـم تكسب قـط .

بداية نهـاية الاتحاد السوفييتى ـ نقولها للمرة الألف بعـد الملـون! كانت هزيمـة يونيو ١٩٦٧ . منـذ ذلك التاريخ أصبح خطر الاتحـاد السوفييتى فى الصـراع العـالمى مع أمـريكـا فى النـازل ويدهـا السفلى المهتـزة المهتـرئة المنكسرة بل المكسورة .

ولذا من السفـه النظرية المجنـونة إن السوفييـت هم الذين خدعـوا مصر والعرب واستدرجوهـم إلـى الحرب والهزيمة حتى لو كانت نـواياهـم غير طيبة (ومن المسلم بـه أنهم لم يكـونـوا معنـا قط ١٠٠٪ ، ولا حتى ٥٠٪ وكـانـت إسرائيل عندهـم فوق العرب قطعا ، وأهـم وأبقى وأقرب) .

وعلى حالق النهاية كان طـرد السوفييت من مصر والمنطقة سنة ١٩٧٣ ، وسقوط مصر فى التبعية الأمريكية والركوع لإسرائيل .

فى نفس الاتجاه والخط كانت حرب أفغانستان (فيتنام الروس) .

وأخيرا كانت حرب الخليج والخيانة السوفيتية والتواطؤ مع العدو الأمريكى .

وفى النهاية كان الاستسلام العلنى لأمريكا على يد الخونة جورباتشوف يلتسين نهاية النهاية .

يثبت التاريخ أن الروس من أشد المتطرفين تطرفا وغلوًّا فى التطرف، وخطأ بالتالى . فلقد تطرفوا مرتين، وفى كل مرة أخطأوا بيقين :

١ ـ فى الثورة الشيوعية ١٩١٧ تطرف رهيب مخيف .

٢ ـ فى الثورة على الشيوعية ١٩٩٢ تطرف رهيب رهيب مدمر.

ولولا هذا التطرف وذاك، لكانت الثورة الأولى قد سارت وصححت نفسها وحققت غلواءها إلى اشتراكية حقيقية معتدلة، كانت ستستمر إلى الآن وإلى الأبد .

قطعا، حصار وضغط الغرب العدوانى الرهيب لم يتح الفرصة للتطور الداخلى للشيوعية، بل فرض عليها التجمد والمزيد من التجمد، بل والمزايدة والمزيد من المزايدة فى التطرف الأيديولوجي .

كما انتهت الحرب الساخنة الثانية باستسلام النازية للحلفاء استسلاما مطلقا سياسيا وعسكريا وبلا قيد ولا شرط، استسلم الاتحاد السوفييتى فى الحرب الباردة للغرب استسلاما مطلقا سياسيا وعسكريا وبلا قيد ولا شرط لا فرق مطلقا !

الفارق الوحيد والمذهل هو أن استسلام النازية جاء نتيجة لهزيمة عسكرية كاملة، ولكن استسلام السوفييت جاء من موقع القوة القوية الكاملة ودون رصاصة واحدة .

إن كان استسلام وانتهاء الاتحاد السوفييتى هو أكبر لغز فى التاريخ، كما هو أكبر هزيمة فى العالم ونتائجها السياسية العالمية فى الاستراتيجية والسياسية العالمية تفوق نتائج الحربين العالميتين الأولى والثانية معًا، وكانت بحاجة إلى حرب نووية شاملة على الأقل لكى تتحقق !

إن جريمة تدمير الاتحاد السوفييتى هى أكبر جريمة سياسية فى التاريخ، وأكبر حادثة انتحار جيوبولتيكى فى الجغرافيا السياسية، وهى جريمة جنونية بحتة لأنه ليس لها مبرر حقيقى بالصورة التى تمت بها فقد كان هناك بدائل كثيرة للتغيير والتفكك بالتخطيط وبالتدريج .

فعلا تسمية كومونولث لورثة الاتحاد السوفييتى اسم على مسمى إلى حد، فهى وإن كررت الكومونولث البريطانى اسما، فهى مثله تهدف إلى احتفاظ المتروبول السابقة هيمنة ما على الآخرين لقد تحولت جمهوريات الاتحاد السابق من «مستعمرات» إلى «مجمعات»؛ وبدلا من الضم والسيادة، حلت الوصاية والتبعية .

والقرن العشرون هو قرن الاتحاد السوفييتى ملحمة ومأساة : ابتدأ بالثورة الشيوعية ١٩١٧ التى بنت الدولة الجديدة ومرورا فى منتصف القرن بالحرب الثانية التى خلقت الدولة العظمى ثم انتهى بانهيار الشيوعية والدولة ١٩٩١ منحنى قوسي كامل عبر القرن .

لم يكن هناك أغرب ولا أخطر من الثورة البلشفية ١٩١٧ إلا انهيار الثورة والدولة ١٩٩١ .

[انقلاب ساخر: الثورة الشيوعية أصبحت تعد الآن الثورة المضادة، والانقلاب الرأسمالى ١٩٩١ أصبح هو الثورة!] .

ما حـدث من تغير فى العالم السيـاسى اليوم أكبر من ثورة وانقـلاب وهو أضخم من نتائج حـرب عالمية ثـالثة وأضخم من نتائج الحـربين العالميتين الأولى والثانية .

●●●

I.. C.S.

Independent Commoncwealth states

هى تسميه ورثة الاتحاد السوفييتى دول آسيـا الوسطى الجديدة تعد عمليا كمجاهل وسط آسيـا ، على غرار مجاهـل وسط أفريقيا فى القـرن الماضى . الآن فقط بدأت الكشوف الجغرافية ! هـذا خلف الستار الحديدى وهذا وراء الصحراء الكبرى .

هل تصبح العلاقات بين ورثة الاتحاد السوفييتى السابق أشبه بامبراطورية مع إيقاف التنفيذ؟ هل تحل الوصاية الروسية محل «التبعية لروسيا» .

هل انتهى ما كيندر تماما بعد سقوط الاتحاد السوفييتى المخزى، منتحرا راكعا؟ هل سقط الهارتلاند إلى الأبد فى سلة مهملات الجغرافيا؟

الموقف معقد جدا والاستسهال سهل ، ولكنه مهلك علميا لماذا؟ لأن ما حـدث هو خلل فى التطبيق وفى إدارة الاتحـاد السـوفييتى وشرق أوربـا إلخ وليس بالضرورة خللا فى النظرية الجيوستراتيجية خلل فى الأيديولوجيا ربما ، ولكن ليس فى الجيـوستراتيجيـا . ثم إن الفرصـة قائمة وصحيحـة إذا اجتمع الهارتلاند + شرق أوربا ، أصبحت الامبراطورية العالمية على مرمى البصر.

ثانيا ، هل تنتقل نظـرية ماكيندر وتهاجر شرقـا إلى أقصى شرق آسيا؟ إذا اتحـدت الصين واليابـان فى قوة وكتلـة واحـدة ـ كمـا يخمن البعض ـ ولهـا النقيض بـدلا من العداء الـذى تغذيـه أمـريكا والغـرب والاتحاد السـوفييتى

السابق ــ فستكون أقوى كتلة فى العالم ويصبح شرق آسيا هو الهارتلاند الجديد ـ وهو هارتلاند ولكن ليس داخليا ولا هامشيًّا **rimland** .

روسيا الجديدة أصبحت دولة مسخا تقريبا ـ دولة داخلية أو شبه داخلية حبيسة .

فبعد ٤ جبهات مائية وسواحل مفتوحة ، أغلق اثنان تقريبا البلطيق والأسود ، إلا من فتحتين (فرج الروسيا) على لنيجراد (بطرسبرج) والقرم .

وأصبحت دولة ساحلية على المحيط والهادى فقط .

إذن أصبحت دولة قارية تقريبا .

وحيث إنها الدولة القارة حجما ، فإن هناك الآن قارة قارية! قارة بلا سواحل حقيقية فى حين أن لكل قارة فى النهاية سواحلها!

لقد اشتدت قارية وشرق الروسيا الآن أكثر من أى وقت مضى ، حتى أكثر من أيام القيصرية وربما أيام كارترين أو بطرس الأكبر !

الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة : كما قاما معا فى غفلة من الزمن ستسقطان معا فى ساعة الحقيقة . ولقد سقط الاتحاد ، والدور الآن على الولايات والأيام بيننا .

●●●

ولأن الدولتين . . . . [1] كلتاهما عرقيًّا وجنسيا وقوميا ودينيا . . إلخ ، فسيكون هذا عامل سقوط فعَّال ، رغم البوتقة الأمريكية المرعومة فهى قد عجزت عن هضم السود (المشكلة التى لم تعرفها البوتقة السوفييتية الشيوعية حيث عجزت الشيوعية عن هضم القومية) .

---

(١) لم نهتد إلى قراءة هذه الكلمة . (الناشر) .

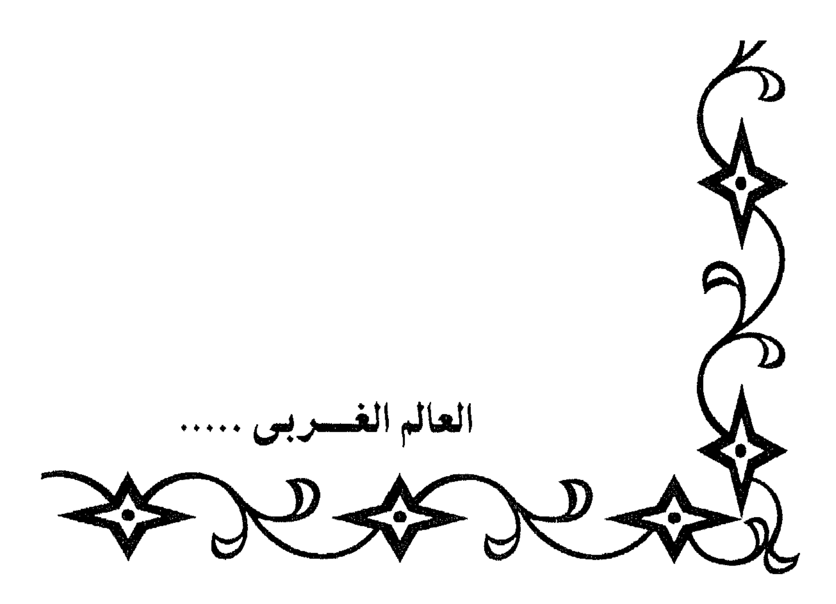
سقوط الاتحاد بدأ بزلزال (سببه حمق الأخرق العاجز المفلس جورباتشوف) تحول إلى بركان نسف كل شيء .

الآن حرب لوس أنجلس أوحرب خليج كاليفورنيا هى زلزال أمريكا ـ الذى سيحول يوما ما إلى بركان مدو نهائيا .

والذى حدث بعد اندثار الاتحاد السوفييتى ليس «نهاية التاريخ» ولكن «تراجع التاريخ» فلقد رجع أو «نكسة التاريخ» .

وتجمع دول البحر الأسود، وتجمع دول بحر قزوين، وهى آخر بدع السياسة الدولية الإقليمية .

والحقيقة أنها مجرد «مناورات قومية» يهدف البعض إلى استغلالها للنفوذ الإقليمى والقوة الإقليمية خاصة تركيا بعد انهيار المعسكر الشرقى ولكن لا جدوى .



٤ ـ البوسنة والهرسك

إن حـرب البوسنـة والهرسك واحـدة من أبشع حـروب الإبادة والحصـار ولكننا لا ندرى . إنها قطعة تمامـا من حروب العصور الوسطى الصليبية التى تتألف من :

حصار مدينة + إبادتها وتصفيتها جسديا .

إن شبهة الصليبيات التى ترفع رأسهـا حيثما صار الأمر يعنى المسلمون × الأوربيين ، هى شبهة حقيقبة جدا ، بل وحقيقة مشينة مثلما هى واقعة .

ويحـار المـرء فى فهم وتشـريح وتحليـل عقليـة الاستعـلاء الغـربى من استعمار أو عنصرية طائفية إلخ .

مأسـاة البـوسنـة هى تشـريح دمـوى بشع للعقلية الأوربيـة العنصـريـة .

فالسؤال هو: ما هى قاعدة الأساس فى العقلية الاستعمارية الأوربية: الجنس، أم الدين، أم القومية؟ أم أن القاعدة مركبة أصلا من ثلاثتها أو أغلبها؟.

فالقاعدة الأساسية المفهومة هى الجنس ـ اللون ـ والملونون إلخ أى أبيض × ملون. والعالم كله نموذج داخل هذه القاعدة تأتى قاعدة أضيق أو أصغر: هى الدين ــ أى الطائفية، وتعنى مسيحى × غير مسيحى (غالب مسلم) وهذه نعرفها جيدا.

وموقف أوربا من الإسلام فى البوسنة اليوم هو تماما كموقفها من اليهود أيام اغتصابهم لفلسطين فى الأربعينيات والخمسينيات وحتى اليوم: فرصة العمر التاريخية للتخلص من دولة إسلامية فى قلب أوروبا كما كانت للتخلص من يهودهم وتدمير العرب وفلسطين ولذا فأوربا تلعب لعبة «مؤامرة الصمت» تتفرج وتتلهف على النتيجة المرجوة، ولكن مع مصمصة الشفاه وحركات الهمبكة للتمويه.

والتطهير العرقى **Ethnic Purge** الذى يمارسه الصرب فى البوسنة والهرسك هو أوقح أكذوبة فى التاريخ بعد اللاسامية.

والبوسنة والهرسك هى أول دولة إسلامية فى أوربا الحديثة. لكن هل تكون الأخيرة؟ هل يزيلها الصرب وكرواتيا فى المستقبل بالقوة والحرب؟

من ناحية أخرى الصرب والكروات وسائر المسيحيين البلقانيين يكرهون المسلمين هناك ويحاربونهم (والآن يحاولون إبادتهم!) مع أنهم بيض تمامًا مثلهم حتى لو كانوا أتراك جنسا وأصلا جزئيا وسلاف أيضا أساسا.

حرب البوسنة ومأساة المسلمين بها هى قطاع عرضى وطولى، أفقى ورأسى، كامل من العصور الوسطى بحذافيرها والحروب الصليبية بالتحديد

إنهـا تعيـد العصور الـوسطى بكل مـركبـاتهـا وعقـدها ورجعيتهـا وتعصبهـا ودمويتها .

أن من ينظر إلى صـراعات أوربا الآن بين الـدول والقومية والعنصـرية . . إلخ ، لا يندهش قط لمـا يحدث بين العرب من تمزقـات وانهيارات كل هذا طبيعى وليس أوربا أفضل منا فى هذا بكثير .

بدأت «الصليبيـات الصغيرة» فى أوربا بضـرب أذربيجان السـوفييتية قبل زوال الاتحاد حين طـالبت بالاستقلال ولم تضـرب دول البلطيق التى طالبت بنفس الشىء .

ثم تبلورت فى البوسنة والهرسك حيـث تواطأ الصرب مع الكروات الذين كانا فى حالـة حرب منذ شهور [1] ضد بعض فى معركـة استقلال وانفصال (كـرواتيا بعـد سلوفينيـا) ضد مسلمى البـوسنة والهـرسك فأصبحت مؤامـرة صليبية سافرة ضد المسلمين !

لو كانت البوسنة والهرسك هى المعتـدية وقامت بإبادة الصرب والتطهير العـرقى ضدهـا ، أو لو فـرضنا جـدلا أن البـوسنة والهـرسك هزمت الصـرب المعتدية فى الحرب الحالية فعـلا ، لانقلبت كل أوربا + أمريكا بكل أسلحة حلف الأطلسى وغيـر الأطلسى لإبادة ومحـو البوسنة والهـرسك من الـوجود ومن القامـوس ومن خريطة أوربـا والعالم ـ تمـاما كحرب الخليج الإجـرامية الإبادة ضد العراق .

إنها فعلا آخـر الصليبيات ومن يقل بغير هذا كـاذب إن كان غير مسلم ، وجاهل إذا كان مسلما .

مفارقـة لافتة فى الوقت الـذى تحاول دول أوربا العـربية طرد المهـاجرين

---

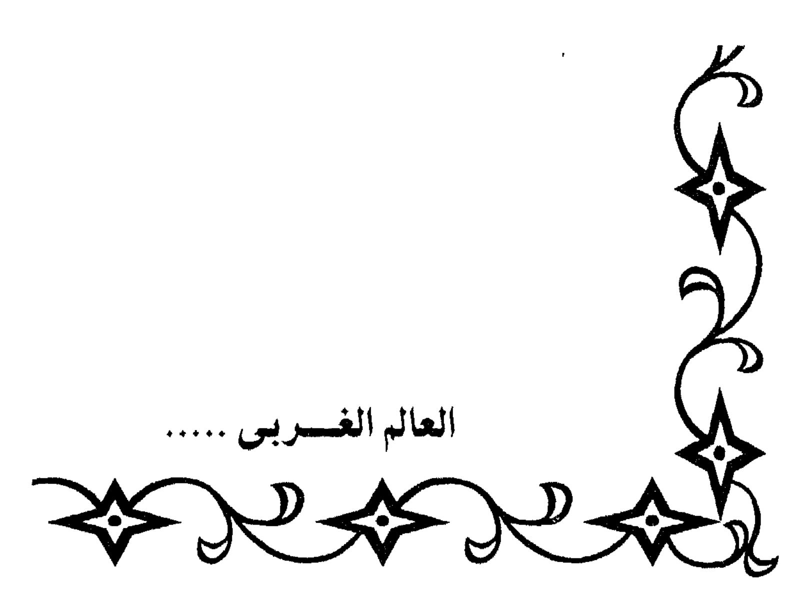
(١) كان هذا عام ١٩٩٣ قبل رحيل المؤلف ـ رحمه الله (الناشر) .

المسلمين الجدد منها ، تحاول دول أوربا الشرقية (البلقان خاصة) طرد السكان المواطنين المسلمين القدامى (بلغاريا ، يوجوسلافيا)، هناك حملة لتصفية المسلمين الأوربيين وتطهير أوربا كلها من الإسلام purge، بالتصفية الجسدية إن أمكن وبالطرد إن لم يمكن .

الاستعمار حول العالم تمّ فى ظلام عصور العزلة وبدائية المواصلات ، أى فى غفلة من الناس والزمن والعلم ، وكان العالم لا يعرف بخبر استعمار منطقة إلا بعد شهور من تمامها تماما .

الآن التحرير تم تحت سمع وبصر الأقمار الصناعية وأجهزة التجسس وعلى شاشات التليفزيون يشاهده العالم أجمع .

إذا كانت الأغلبية تدين وتهاجم وتشجب الاستعمار الحديث بلا تحفظ وأقلية فقط تدافع عنه على استحياء ، فالحقيقة أن الخطأ فى الحالين مصدره التعميم لا بد أن نميز بين حالتين : شعوب الحضارة والتاريخ والشعوب البدائية . كان الاستعمار إنقاذا وفائدة محققة للأخيرة ، ولكنه كان إهانة للأولى . كان للاستعمار أضراره أقل من فوائده للبدائيين ، ولكن فوائده أقل من أضراره للمتقدمين . كانت ضرورته أقوى من أضراره للبدائيين ، ولكنه لم يكن ضروريا للمتقدمين أو لم تكن ضرورته تبرر أضراره وأخطاءه وخطاياه للمتقدمين .



٥ ـ الأمم المتحدة والنظام العالمى الجديد

البعض يقــول إن الأمم المتحـدة أصبحت الآن بعــد سقـوط الاتحــاد السـوفييتى السابق ، هى القـوة العظمى الثـانية إلى جـانب أو بعـد الولايـات المتحدة ! هذه مغالطة ذكية ؟

الصحيح أن الأمـم المتحـــدة أصبحت «ظل» القـــوة العظمـى الأولى والوحيدة !

فقـد أصبحت الأمم المتحـدة الأداة التنفيـذيـة المثلى والقفـاز الحـربى لأمريكا وسياسة القوة والسيطرة والغطرسة . . إلخ

فى الوقت الذى أصبح العـالم كله ، الكوكب ، الكرة الأرضيـة ، محاصرة فضائيًّا بالاستعمار الأمريكى الكوكبى لأول مرة فى التاريخ .

الرد الوحيد الآن أمام الدول المقهورة والترسو هو: تحطيم الأمم المتحدة بالخروج منها نهائيا بالجملة، إلى أن يتم إنشاء منظمة غير إجرامية.

●●●

النظام العالمى الجديد «ليس جديدا وليس نظامًا، لا هو نظام، ولا هو جديد. لا هو جديد ـ لأن قبله وجد نظام واثنان وعشرة فلكل عصر توازن قواه، وهذا التوازن هو بعينه النظام العالمى أو الدولي السائد أو القائم كان هتلر يريد نظاما عالميا جديدا كان هذا مشروعه، وكذلك اليابان. . إلخ وقبل ذلك وحتى لنابليون نظامه العالمى الجديد الذى هدفه وراثة النظام البريطانى الجديد . . إلخ.

إذن، ليس النظام العالمى الجديد الذى دعا إليه مجرم الحرب والسلم بوش، إلا إدعاء كاذبا إجراميا لفرض سلامه الأمريكى **pax Aweri Cana** أما أنه ليس بنظام، فكل توازن يسمى بالنظام العالمى إن هو إلا كتوازن القشرة الأرضية على باطنها الدول وتجمعاتها وصراعاتها أشبه بالألواح الأرضية التى تتصادم عند أطرافها وتتحرك وتنزلق وتتغلق وتنشق وتنشقق. . إلخ، وتتفجر الزلازل والبراكين السياسية بينها كحروب وانتصارات وهزائم يعود بعدها بعض الاستقرار السياسى المؤقت إلى أن تبدأ القوى والطاقات الحبيسة تتراكم فيكون هذا هو النظام العالمى الجديد القائم، إلى أن ينهار ويحل آخر محله . . إلخ

ولذا فكل نظام عالمى هو كيان هلامى ديناميكى متغير ببطء أو بسرعة فهو إذن نظام ولا نظام فى آن واحد وأنت نستطيع أن تتحدث عنه كنظام فعلا، ولك أن تنكره أيضا كلا نظام أى نظام عالمى ليس قفصا حديديا صارما.

وهذا هو نفس وضع ما يسمى بالنظم الـدولية الإقليمية ، كالنظام العربى مثلا . فهو نظام وما هو بنظام .

بعض العـرب (اللـوبى الأمـريكى فى العـالـم العـربى) يتحمس للنظـام العـالمى الجديـد المزعـوم (الأمريكى) كأمل يتحقق فيـه بعض مطالبـه من إسـرائيل ، على أساس أن كل خسـائر العرب تمت فى ظل وبفضل القضيـة الثنائية السابقة .

ليس نظامًا ولا جـديدا! هذا هو ما يسمى النظام العـالمى الجديد فأولا، هـو فـوضى أو بـالأحـرى فرض لا نظـام، من جـانب القـوة المتغطـرسة السـائدة مـرحليا . ثانيا لكل عصر نظـامه ،نظامه الجديد، يفـرضه الأقوى على العـالـم أو هو يحـاول كـان النظام العـالمى الجـديد أيـام السـيادة البريطانية هو السلام البريطانى وكان لهتلـر مشـروعه لنظـام عالمى جديد **Naw World Order** . . إلخ أمـا الآن فهـو أو وهم بوش المجـرم، مجـرم الحـرب والسلم حلم لن يتحقق بل تحطـم فعـلا حتى فـى عقل صـاحبـه المخبول ، وسقط معه إلى سلة مهملات التاريخ والسياسة .

وليست أمريكا زعيمـة العالم ، بل زعيمة العالـم «العـربى» وحده والنظام العـالمى الجديـد لا يوجـد فى عقل العالـم ، وإنمـا فى «فراغ» عقل العـالـم العربى فقط ولربما لو لـم يوجد ، لأوجده العرب ! .

والشرعية الـدولية هـم الاسـم الدبلوماسـى (أو الحركى !) للسيـادة العالمية اقرا «الهيمنة الدولية» .

المحتويـــات

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

١٩٩٦/ ٨٧٨٦

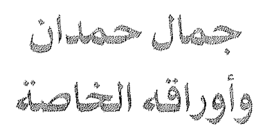
الترقيم الدولى

I. S. B. N.

977 - 5066 - 34- 4

طبع بمطابع
دار الغد العربى
٣ شارع دانش ـ العباسية ـ القاهرة
ت ٠٢٩٧٣٨٧٠ ـ ٢٨٥٦١٢٢





لم يكن جمال حمدان عالمًا فى الجغرافيا فحسب . . ولكنه كان عبقريًا فذًا . . وعاشقًا لمصر كأعظم ما يكون العشق . ولقد اندمجت عبقريته الفذة مع عشقه العظيم لمصر الخالدة . . فصاغ رباعيته العظيمة [شخصية مصر ـ دراسة فى عبقرية المكان] والتى استطاع بمهارة فائقة أن يحول علم الجغرافيا . . الذى يهتم بالتضاريس والجبال والوديان إلى سميفونية موسيقية رائعة .

ولقد كان الرحيل المفاجىء . . والظروف الغامضة التى اكتنفت رحيله . . صدمة شعبية . . ذلك أن «جمال حمدان» كان واحدًا من أعظم رموز الوطنية المصرية .

وإنه لمن دواعى سرور **«دار الغد العربى»** أن تقدم للعالم أجمع الجزء الأول . . من أوراقه الخاصة . . والتى سجل فيها ما يشبه المذكرات . . والتى قام شقيقه الدكتور عبد الحميد حمدان بإعداها فى ثلاثة أجزاء .

إن هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم هو وثيقة لمفكر عظيم أنجبته مصر ـ ومصر دائما ولادة للنجباء ـ يتناول فيه العديد من القضايا الراهنة بحس العالم . . وشعور العاشق لمصر وبشعبها العظيم . .

حمدان جعفر

مدير دار الغد العربى

الثمن ٤ جنيهات